
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
الحدود
الجزء الأول
131
زياحين
www.liilas.com/vb3
د. نبيل فاروق
المؤسسة العربية الحديثة



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

131

الحدود

- ما سر تلك الصفقة الإرهابية ، بين زعماء الإرهاب ، ومنظمة (المافيا) الروسية ؟!
- كيف يمكن أن يدير (أدهم) عملية دولية كبرى ، دون أن يغادر الحدود المصرية ؟!
- ترى هل يمكن أن تنهار المنظمة الروسية الرهيبة ، أم تشتعل النيران خارج (الحدود) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل) ..



العدد القادم : الجزء الثاني
فريق المستحيل

رجل المستحيل

(أدهم صبري).. ضابط مخابرات مصري، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعني أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعني أنه الأول من نوعه، هذا لأن (أدهم صبري) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة في استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبري) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبري) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذي أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١- الأب الروحي..

لم يكد ذلك اليوناني ضخم الجثة، صاحب الرأس الأصلع، والملامح الحادة القاسية، يعبر بوابة الأمن الإليكترونية، في مطار (موسكو)، حتى صدر عنها أزيز قوي، وأضيء في أعلاها مصباح أحمر كبير، راح يتألق على نحو متقطع، فاستل كل رجال الحراسة أسلحتهم، في عصبية متحفزة، وصوبوها إلى اليوناني، وسط حالة من الهرج والمرج، وقائدهم يهتف في صرامة:

- قف مكانك.. أية حركة ستطلق النار فوراً!!

وعلى الرغم من كل ما ساد المكان، ارتسمت على شفتي اليوناني الضخم ابتسامة صفراء مقيتة، وهو يقول في هدوء مستفز:

- كنت أعلم أن هذا سيحدث.. إنه يحدث في كل مرة.

ثم رفع يده اليمنى ، وكشفها أمام الجميع ، مضيفاً ، بلهجة أقرب إلى السخرية :

ـ بسبب هذه .

حدق الجميع في الكف المعدنية الصناعية ، المثبتة في نهاية ساعده الأيمن ، في دهشة كبيرة ، في حين مد هو يده اليسرى إلى جيب معطفه ، قائلاً :

ـ ولكن لدي ما يثبت أن ...

قاطعه قائد الحراسة بصرخة هادرة :

ـ إياك أن تفعلها .

سرى توتره البالغ في المكان كله ، وخاصة بين رجال الأمن والحراسة ، الذين تحفزت سباباتهم على أزندة مدافعهم الآلية ، في انتظار إشارة واحدة من قائدهم ، لتنطلق رصاصاتهم نحو اليوناني بلا هوادة ..

أما اليوناني نفسه ، فقد اتسعت ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

ـ كل ما أردت أن أفعله ، هو أن أخرج لكم الأوراق ، التي تثبت حالتي هذه .

وانطلقت من حلقه ضحكة ساخرة قصيرة ، قبل أن يتابع :

ـ كيف تظنونني قد استقللت الطائرة ، من (كندا) إلى هنا ، لو أنني مدجج بالسلاح كما تتصورون ؟!

بدت عبارته منطقية للغاية ، حتى إن قائد الحرس قد عقد حاجبيه ، وتردد لحظة ، قبل أن يقول في صرامة :

ـ ارفع يديك ، وسيأخذ أحد رجالي الأوراق ..

هز اليوناني كتفيه بلا مبالاة ، ثم رفع ذراعيه في هدوء ، وابتسامته الساخرة لم تفارق شفتيه ، وبإشارة من قائد الحراسة ، اتجه أحد الحراس نحوه في حذر ، والتقط الأوراق من جيب المعطف ، وألقى عليها نظرة سريعة ، قبل أن يقدمها إلى قائده ، قائلاً بلهجة تغلب عليها الدهشة :

ـ هذا صحيح .

اختطف قائده الأوراق من يده ، وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يلقي عليها نظرة مدققة ، ثم لم يلبث أن مط شفتيه ، قائلاً :

- أأنت (نيكولاس ديمترى) ؟!

أجابه اليونانى فى هدوء ساخر :

- هو أنا .. هل أبدو وسيمًا كصورتى ؟!

رمقه الرجل بنظرة نارية ، ثم أعاد إليه الأوراق ، قائلاً :

- نحن نعتذر يا سيد (ديمترى) .. كان مجرد سوء تفاهم .. نرجو لك إقامة ممتعة فى بلادنا .

لم يكد اليونانى يخفض ذراعيه ، حتى ارتفع تصفيق رجلين ، على مسافة أمتار قليلة من قائد الحراسة ، الذى التفت إلى مصدره فى حنق ، فوقع بصره على رجلين بنفس القوة والضخامة ، يرتديان معطفين أنيقين للغاية ، وكلاهما يبتسم فى سخرية ، والأشقر منهما يقول :

- عرض رائع .. لقد قاومت نفسى بصعوبة .

وغمغم الآخر :

- أما أنا ، فقد كتمت ضحكاتى بصعوبة أكبر .

تفجر الغضب فى كيان قائد الحراسة ، وخاصة عندما

انحنى اليونانى الأصلع فى سخرية ، كممثل مسرحى هزلى ، ثم اتجه نحو الرجلين ، قائلاً :

- هل راق لكما العرض ؟!

هتف قائد الحراسة :

- لو أن ثلاثتكم تتصورون أن بلادنا مسرحًا هزليًا ، لمجرد أنها تعانى من أزمات اقتصادية طاحنة ، فـ ...

قاطعه صوت أنثوى صارم حازم ، يقول :

- دع السادة وشأنهم يا رجل .

ارتسمت ابتسامة على وجوه الرجال الثلاثة ، فى حين التفت قائد الحراسة بحركة حادة نحو صاحبة الصوت ، التى بدت أشبه بلوح من الثلج ، على الرغم من جمالها الواضح ، وثوبها بالغ الأناقة ، وهى تضيف بصرامة شديدة :

- إنهم ضيوف (يلتوفيتش) .. (إيفان يلتوفيتش) .

لم تكد تنطق الاسم ، حتى شهق أحد الحراس ، وامتقع وجه قائده ، وزاغت عيناه فى ارتياع واضح ، وهو يعيد مسدسه إلى غمده فى سرعة ، هاتفًا بصوت مرتجف :

- فسيوف الرفيق .. نعم .. أعني السيد (إيفانوفيتش) ؟! لماذا لم تقولوا هذا من البداية أيها السادة ؟!

قالت الشقراء الباردة، بنفس الصرامة :

- أنا قلتها .

ودون أن تبالي برد فعله، استدارت إلى الرجال الثلاثة، قائلة :

- مرحبًا بكم في (موسكو) أيها السادة .. اتبعوني .

نطقت عبارتها في برود، ثم استدارت، متجهة نحو بوابة المطار، وكأنها لا تنتظر أو تتوقع أي اعتراض أو مناقشة ..

وبابتسامة ساخرة، تبادل الرجال الثلاثة نظرة صامتة ..

ثم تبعوها في هدوء ..

وداخل السيارة الأمريكية الفاخرة الكبيرة، التي انطلقت بهم، يقودها سائق أكثر صمتًا وبرودة، قال الأشقر :

- أسلوبك يروق لي كثيرًا يا جميلتي .. أأنت مندوبة (إيفانوفيتش) الخاصة أم ماذا ؟!

تجاهلته الشقراء تمامًا، وكأنها لم تسمعه، فمد يده يداعب شعرها، وهي تجلس في المقعد المجاور للسائق، قائلاً :

- هل سمعتني يا صغيرتي أم ...

ارتفعت يدها لتقبض على معصمه فجأة، وانغرست فيه أصابعها على نحو مؤلم، وهي تستدير إليه، قائلة بصرامتها الباردة القاسية :

- إياك أن تلمسني أيها الـ ...

قاطعها ذو الشارب الضخم، هاتفًا :

- ويحك أيتها الحقيرة !! ألا تدرين من نحن ؟!

دفعت الشقراء يد الرجل بعيدًا، وهي تقول صارمة :

- بل أعرفكم جيدًا أيها التركي .. أنت (شوكت قلال) .. وشاربك الضخم هذا من بقايا عهد بائد، مازال يربط بين الرجولة وحجم الشارب .. أما أنت أيها الأصلع، صاحب اليد المعدنية، والذي سببت كل

هذه السخافات المسرحية في المطار ، فشهرتك في عالم الإرهاب جعلتني أندهش ، عندما أتيت إلى هنا باسم (نيوكولاس ديمتري) ، وهو اسمك الحقيقي .

ابتسم (نيكولاس) في سخرية ، قائلاً :

- ليس لديهم دليل واحد ، يبرر إلقاء القبض علي يا جميلتي .

مطت شفتيها ، إعلانًا عن ضجرها ، وهي تدير عينيها إلى الأشقر ، قائلة :

- وأقدم (هانز ديتريتش) .. زعيم منظمة النازية الجديدة في (ألمانيا) ، والوحيد ، تقريبًا ، الذي يعلن رفضه واستياءه لإزالة سور (برلين) الشهير .

هز (هانز) كتفيه ، وقال :

- الشرقيون أفسدوا حياتنا كثيرًا ، ورفعوا نسبة البطالة إلى حدها الأقصى ..

ثم عاد يميل نحوها ، متابعًا بابتسامة لزجة :

- ولكن دعينا من كل هذا يا جميلتي ، فمازلت أصر على أن أسلوبك يروق لي :

- قالت في صرامة :

- وأنا مازلت أصر على أنك لو حاولت لمسي ، فستندم أشد الندم .

قال ساخرًا :

- فليكن .. سأنتظر هذا اللحظة المناسبة .

قالت ببرودها المستفز :

- لو أن شعري يروق لك إلى هذا الحد ، فأعدك أن أضع خصلة منه في قبرك .

انعقد حاجباه في شدة ، وهتف غاضبًا :

- كيف تتحدثين إلي هكذا ، أيتها الـ ...

قاطعه السائق بغتة :

- لقد وصلنا يا سيدة (ميرا) .

استدارت إليه في هدوء ، قائلة :

- عظيم .. دورك ينتهي هنا .

تطلع الرجال الثلاثة إلى الهليوكوبتر الأنيقة ، التي استقرت وسط الساحة ، التي توقفت فيها السيارة ، والتي

تحمل على جانبيها شعارًا من الذهب ، لعقاب منتظم ، انحفرت في منتصفه زهرة ثلاثية الأوراق ، ثم قال (هانز) في سخرية ، وهو يتجه إليها مع الآخرين :

- الرفيق (إيفانوفيتش) يتخذ شعارًا رومانسيًا للغاية .

تجاهلته (ميرا) تمامًا ، وهي تستقل الهليوكوبتر ، قائلة بنفس البرود الصارم :

- سنقلع خلال دقيقة واحدة .. اتخذوا مجلسكم .

استقر كل منهم على أحد المقاعد الثلاثة ، في الجزء الخلفي من الهليوكوبتر ، التي أقلعت على الفور ، والتقطت (ميرا) مسماع جهاز الاتصال اللاسلكي داخلها ، قائلة :

- نحن في الطريق .

نطقتها ، وأنهت الاتصال ، واسترخت في مقعدها بهدوء تام ، وكأنما لا تنتظر جوابًا ، فغمغم (نيكولاس) :

- من الواضح أن الرفيق (إيفانوفيتش) يحيا في رفاهية ، لا تتفق مع الأزمات المالية الطاحنة ، التي تعيشها (روسيا) الآن .

أجابته في برود :

- لم يعد أحد يستخدم لقب الرفيق هذا ، إلا من باب السخرية ، أو على خشبة المسرح ، في المسرحيات الهزلية أو التاريخية ، ثم إن السيد (إيفانوفيتش) لا شأن له بأزمات (روسيا) .

قال (شوكت) في هدوء ، وهو يعتدل في مقعده :

عجبًا ! كنت أظنه أحد أسباب حدوثها ، باعتباره أقوى رجل ، في (المافيا) الروسية .

صمتت (ميرا) طويلاً ، وتسللت لمحة غاضبة إلى ملامحها الباردة وصوتها الجاف ، وهي تقول في صرامة :

- من الطبيعي أن يكون السيد (إيفانوفيتش) هو أقوى رجل في (المافيا) الروسية ؛ لأنه الأب الروحي لها(*) ، ولكن الذي قد لا يعلمه أحد ، أنه في الواقع أقوى رجل ، في (روسيا) كلها .

(*) الأب الروحي : مصطلح ابتدعته منظمة (المافيا) ، منذ نشأتها ، لتطلقه على زعيمها ، والمصطلح مأخوذ عن نظام التعميد في الديانة المسيحية ، عندما يتخذ للمولود أب روحي ، بخلاف والده الحقيقي ، وهو ما كان وما زال يحدث في (إيطاليا) ، منشأ عصابات (المافيا) ، ولقد استقر المصطلح ، بحيث صار الاسم يطلق على زعماء أية عصابات كبرى .

رفع (هانز) حاجبيه بدهشة مصطنعة ، وهو يقول :

ـ آه .. رائع .. هذا يعني إذن أننا في طريقنا لمقابلة أقوى رجل في (روسيا) كلها .

غمغم (شوكت) :

ـ وأغنى رجل في العالم ، كما لا يعلم أحد أيضًا .

مطّت (ميرا) شفتيها ، وعادت تسترخي في مقعدها ، متجاهلة أحاديثهم تمامًا ، في حين واصلت الهليوكوبتر انطلاقها وتحليقها ، فوق (موسكو) ، حتى تجاوزتها ، في طريق (لينتجراد) ، وقطعت ما يقرب من خمسين كيلومترًا ، قبل أن يظهر قصر منيف ، مقام فوق ربوة عالية ، ويحتل بحديقته الهائلة مساحة ألف فدان على الأقل ، انتشرت فيها أشجار الفاكهة ، التي أحاطت بملعب جولف كبير ، وحوض سباحة بالغ الأناقة ، مصنوع على شكل زهرة ثلاثية الأوراق ، يحيط بها قلب ضخم ، كسيت أرضيته بطبقة ذهبية لامعة ، تتألق على نحو عجيب ، على الرغم من اختفاء الشمس خلف الغيوم الكثيفة ..

وفي انبهار حقيقي ، أطلق (شوكت) صفارة طويلة من بين شفتيه ، هاتفًا :

ـ رباه ! أهنا يعيش (إيفانوفيتش) ؟!

وارتسمت ابتسامة باهتة على شفتي (ميرا بتروفا) ، وكأنما راق لها هذا الانبهار ، وهي تقول في برود :

ـ إنه أحد قصوره .

انعقد حاجبا (هانز) ، وهو يغمغم في انبهار مماثل :

ـ أحد قصوره ؟!

أما (نيكولاس) ، فقد أطلق ضحكة عالية ، قائلاً :

ـ هذا الرجل يروق لي .. يروق لي بحق .

اتجهت الهليوكوبتر مباشرة نحو القصر المنيف ، وراحت تدور حوله لحظة ، قبل أن تلتقط (ميرا) سماعة اللاسلكي ، وتنطق عبارة ما ، لم يفهمها أي من الرجال الثلاثة ، على الرغم من إجادتهم للروسية ، فتبادل ثلاثتهم نظرة عصبية صامتة ، في نفس اللحظة التي جاء فيها الجواب ، عبر اللاسلكي ، بعبارة غامضة أخرى ، أنهت (ميرا) الاتصال بعدها ، وهي تقول للطيار في صرامة :

- ستهبط الآن .

انخفضت الهليوكوبتر على الفور ، متجهة نحو ساحة هبوط خاصة ، تحمل فى منتصفها الشعار الذهبى نفسه ، فغمغم (نيكولاس) :

- من الواضح أن السيد (إيفانوفيتش) بالغ الثروة والثراء بالفعل .

تعقد حاجبا (هانز) ، وهو يقول :

- ولكنه يسرف فى استخدام شعاره ، أكثر مما ينبغى .

قضت (ميرا) فى صرامة :

- السيد (إيفانوفيتش) يفعل ما يحلو له .

تبادل الرجال الثلاثة نظرة أخرى صامتة ، دون تعليق واحد ..

ولقد استمرّ صمتهم هذا طويلاً ..

فما إن غادروا الهليوكوبتر ، فى ساحة الهبوط ، حتى أحاط بهم فريق أمن كامل ، وقادهم إلى حجرة خاصة ، تم فيها تفتيشهم بمنتهى الدقة ، وروجعت صورهم وبياناتهم ، وخضعت كف (نيكولاس) المعدنية

لفحص خاص ، قبل أن يسمح لهم بدخول الساحة الرئيسية للقصر ، والتى بدت أكثر إبهارًا ، بسقفها المرتفع ، الذى تزدان برسوم رائعة ، تحمل توقيع أشهر رسامى (أوروبا) ، وبالكم الهائل من التحف ، الذى توزّع فى المكان بطريقة مدهشة ، وتناسق بديع ، مع الأثاث الفاخر ، والخدم الذين يرتدون ثيابًا زاهية جميلة ، جعلت الكل يشعر وكأن الزمن قد عاد به مائة عام ، إلى عهد القياصرة القدامى ، مما جعل (هانز) يقطع حبل الصمت ، الذى استمرّ طويلاً ، وهو يهتف :

- هذه القاعة تكلّفت مليار دولار على الأقل .

غمغم (شوكت) ، فى شىء من العصبية :

- كم تكلّف القصر كله إذن .

كان صوته خافتًا للغاية ، إلا أنه فوجئ بصوت هادئ ، يجيب :

- ستة مليارات دولار تقريبًا .

استدار الجميع فى آن واحد إلى مصدر الصوت ،

حيث وقف رجل طويل القامة ، قوى البنية ، متين البنيان ، كث اللحية والشارب ، طويل الشعر على نحو ملحوظ ، وقد توزع الشيب فى شعره ولحيته ، على نحو أضفى عليه مهابة ووقارًا ، وهو يتابع بنفس الهدوء :

ـ إننى أكره الإسراف فى الواقع ، ولكن مهندس الديكور الفرنسى أكد لى أن الميزانية لن تتجاوز أربعة مليارات .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ، وهو يضيف :

ـ ولقد استحق القتل ، بسبب المليارين الإضافيين .

قالها ، دون أن يُعلق الرجال الثلاثة بحرف واحد ، فاتسعت ابتسامته ، وأشار لحارسيه الضخمين بالثبات ، وهو يتجه نحوهم ، قائلاً :

ـ مرحبًا بكم فى أحب قصورى إلى قلبى .. أنا إيفان (إيفانوفيتش) .. شخصيًا .

صافحوه فى احترام كبير ، قبل أن يسأله (شوكت) فى حذر :

ـ قل لى يا سيد (إيفانوفيتش) .. كم تبلغ حدة سمعك بالضبط ؟!

قهقه (إيفانوفيتش) ضاحكًا ، ثم أزاح خصلة جانبية من شعره الطويل ، مجيبًا :

ـ أربعة أضعاف الحدة المعتادة يا عزيزى (شوكت) .

حدق الثلاثة لحظة ، فى جهاز السمع الإليكترونى المتطور ، المعلق خلف أذنه اليسرى ، قبل أن يهتف (نيكولاس) فى حماس :

ـ قلت لكم : إن هذا الرجل يروقنى كثيرًا .

أدار (إيفانوفيتش) عينيه إليه ، قائلاً :

ـ أشكر لك تقديرك لهذا يا عزيزى (نيكولاس) .

بدت الدهشة على وجه (نيكولاس) ، وانعقد حاجبا (شوكت) فى توتر ، فى حين قال (هتلر) فى غضب :

ـ هل كنت تتجسس على أحاديثنا فى الهليوكوبتر يا سيد (إيفانوفيتش) ؟!

هز الرجل كتفيه العريضين ، وهو يجيب :

حيث وقف رجل طويل القامة ، قوى البنية ، متين البنيان ، كث اللحية والشارب ، طويل الشعر على نحو ملحوظ ، وقد توزَّع الشيب في شعره ولحيته ، على نحو أضفى عليه مهابة ووقارًا ، وهو يتابع بنفس الهدوء :

- إننى أكره الإسراف فى الواقع ، ولكن مهندس الديكور الفرنسى أكَّد لى أن الميزانية لن تتجاوز أربعة مليارات .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ، وهو يضيف :

- ولقد استحق القتل ، بسبب المليارين الإضافيين .

قالها ، دون أن يُعلِّق الرجال الثلاثة بحرف واحد ، فاتسعت ابتسامته ، وأشار لحارسيه الضخمين بالثبات ، وهو يتجه نحوهم ، قائلاً :

- مرحبًا بكم فى أحب قصورى إلى قلبى .. أنا إيفان (إيفانوفيتش) .. شخصيًا .

صافحوه فى احترام كبير ، قبل أن يسأله (شوكت) فى حذر :

- قل لى يا سيِّد (إيفانوفيتش) .. كم تبلغ حدة سمعك بالضبط ؟!

قهقه (إيفانوفيتش) ضاحكًا ، ثم أزاح خصلة جانبية من شعره الطويل ، مجيبًا :

- أربعة أضعاف الحدة المعتادة يا عزيزى (شوكت) .

حدق الثلاثة لحظة ، فى جهاز السمع الإليكترونى المتطوِّر ، المعلَّق خلف أذنه اليسرى ، قبل أن يهتف (نيكولاس) فى حماس :

- قلت لكم : إن هذا الرجل يروقنى كثيرًا .

أدار (إيفانوفيتش) عينيه إليه ، قائلاً :

- أشكر لك تقديرك لهذا يا عزيزى (نيكولاس) .

بدت الدهشة على وجه (نيكولاس) ، وانعقد حاجبا (شوكت) فى توتر ، فى حين قال (هنتر) فى غضب :

- هل كنت تتجسَّس على أحاديثنا فى الهليوكوبتر يا سيِّد (إيفانوفيتش) ؟!

هزَّ الرجل كتفيه العريضين ، وهو يجيب :



مع وحدة الكمبيوتر المتطور للغاية، المجاورة له تمامًا، والتي احتلت (ميرا) المقعد المقابل لها في الية، قبل أن يشير هو إليهم باختلاس ؟

تمتم (هانز)، في شيء من العصبية :

- ربما لأن الصفقة ضخمة هذه المرة .

يبتسم (إيفانوفيتش)، ويتراجع في مقعده الذهبي الوثير في استرخاء، قائلاً :

- كلمة صفقة ضخمة هذه، تعني بالنسبة لي رقمًا يتجاوز المليار دولار يا عزيزي (هانز)، فنحن ننفق الكثير، حتى نضمن استمرار تسويق بضاعتنا، في كل أنحاء العالم .. ولولا أن اشتعال الحروب، في عالم متخم بالصراعات، ليس بالأمر العسير، لأنفقنا ثلاثة أضعاف هذا .. إشعال الحرب في (الشيشان)(*) وحده كلفنا ما يقرب من نصف المليار، ولكن صفقات الأسلحة التي عقدناها، مع اشتعال القتال، حملت أرباحًا تتجاوز المليار ونصف المليار.

(*) في بداية التسعينات، أعلن (جوهر دوداييف)، الطيار السابق في الجيش الروسي، استقلال (الشيشان)، التي تعد من أغنى مناطق إنتاج وتكرير البترول، وطلب بحكم ذاتي، ودولة ذات سيادة، دون أن تتدخل الدول المحيطة في شئونها، ولكن (روسيا) لم تقبل بهذا الموقف، وأعلنت الحرب على (الشيشان)، وراحت تطارد (جوهر دوداييف) بمنتهى العنف، حتى إنها قد حشدت أقمارها الصناعية لمتابعة هاتفه الخاص، بعد أن استهدفته، وتم قصفه بالصواريخ، ليتحول بعدها إلى أسطورة، وخاصة مع عدم العثور على جسده أو بقاياه حتى الآن.

قال (هانز) في صرامة:

- حروب الدول أمر آخر يا سيد (إيفانوفيتش)، فإنك لن تشعل حربًا دولية كل يوم، ولكنك تبيعنا قيمًا من الأسلحة والذخائر طوال العام، بما يفوق مجموعة أرباح عدة حروب طاحنة.

صمت (إيفانوفيتش) بضع لحظات، ثم لم يلبث أن ابتسم، قائلاً:

- ربما كان هذا صحيحًا يا عزيزي (هانز).. ربما.

اعتدل (هانز) في مقعده، قائلاً:

- هل ترغب في معرفة قيمة صفقتنا الحالية؟!

ابتسم (إيفانوفيتش)، وأشار بيده إلى (ميرا)، قائلاً:

- لست أعتقد هذا.

ومع إشارته، جرت أصابع (ميرا بتروفا) على أزرار الكمبيوتر في سرعة، ثم راحت تقول في برود:

- الصفقة تبلغ قيمتها الإجمالية نصف مليار، وثلاثة ملايين، ومائة وسبعون ألف دولار، وقد تم تمويلها من قبل منظمة تحيط نفسها بسرية مطلقة، بعد أن تعاقدت مع تنظيماتكم الثلاثة، للقيام بعمل قوي عنيف، في منطقة الشرق الأوسط، و...

قاطعها (هانز) في صرامة:

- كفى.

ثم التفت بنظرة غاضبة إلى (إيفانوفيتش)، الذي حافظ على هدوئه الشديد، وهو يبتسم، قائلاً:

- كما أخبرتكم من قبل يا عزيزي.. البقاء على القمة يستلزم جهدًا وحذرًا مستمرين، ومعرفة بالعديد من الأمور.

تبادل الرجال الثلاثة نظرة عصبية، قبل أن يقول (شوكت):

- فليكن يا سيد (إيفانوفيتش).. مادمت تعلم كل شيء عنا، وعن صفقتنا.. أخبرنا إذن متى وأين تتسلم شحنة الأسلحة والذخائر كاملة؟!

هزّ زعيم (المافيا) الروسية كتفيه ، وقال :

- هذا يتوقّف على موعد سداد الدفعة الأولى ، ومقدارها .

أجابه (نيكولاس) هذه المرة :

- أرباب العمل يتعجلون النتائج ، ويصرّون على أن تكون العملية قوية ، عنيفة ، ذات صيت يكفى لإزعاج العالم كله ، ولهذا فالصفقة تحوى أحدث وأقوى أسلحة عرفها القرن ، والدفعة الأولى سيتم سدادها خلال أربع وعشرين ساعة ، من الاتفاق النهائى ، ومقدارها ثلاثمائة مليون دولار .. هل يكفيك هذا ؟!

ابتسم (إيفانوفيتش) مرة أخرى ، قائلاً :

- بالتأكيد .

ثم أشار إلى (صونيا) ، التى تابعت ببرودها المستفز :

- الصفقة سيتم تسليمها كاملة ، بعد ثلاثة أسابيع من استلام الدفعة الأولى .

سألها (هانز) :

- أين ؟!

أجابت فى اقتضاب :

- على الحدود .

سألها فى توتر :

- أية حدود ؟!

ضمت شفتيها فى صرامة ، فى حين أشار (إيفانوفيتش) بيده ، وهو يقول بلهجة جافة حازمة ، لاتقبل النقاش :

- سيتم إخباركم فى حينه .

سأله (شوكت) فى حدة :

- ولِمَ لايتم إخبارنا الآن ؟!

رمقه (إيفانوفيتش) بنظرة باردة ، مجيباً :

- لكل شىء وقته يا عزيزى (شوكت) .. لكل شىء وقته .

ثم نهض من مقعده ، وكأنما يعلن نهاية المقابلة ، متابعاً :

- وحتى تتسلم الدفعة الأولى ، يمكنكم اعتبار أنفسكم ضيوفاً على (إيفان إيفانوفيتش) ، فقد تم حجز ثلاثة أجنحة فاخرة لكم ، فى فندق (أوكرانيا) ، أكبر وأفخم فنادق (موسكو) .. كلوا واشربوا ، واستمتعوا ، وافعلوا كل ما يحلو لكم ، بحساب مفتوح تماماً ، على نفقتى الخاصة بالطبع .. إننى أحب دائماً أن يشعر عملائى بكرم ضيافتى .

نهض الثلاثة فى توتر ، وغمغم (هانز) :

- إننا نشكر لك كرمك مقدماً .

وأضاف (نيكولاس) فى سرعة :

- مالم تدس السم فى طعامنا .

قالها ، وقهقه ضاحكاً ، وكأنما ألقى دعابة العصر ..

ولكن أحدهم لم يبتسم ..

بل على العكس .. لقد ارتسم شبه قلق حذر ، على وجهى (هانز) و(شوكت) ، مما جعل (إيفانوفيتش) يبتسم بدوره ، قائلاً :

- الزعيم لا يغدر برجاله قط .

وصمت لحظة ، قبل أن يميل نحوه ، مضيفاً :

- مالم يبدأ الغدر منهم أولاً .

تبادل الرجال الثلاثة نظرة عصبية ، ثم قال (هانز) فى صرامة :

- نحن أيضاً لا نغدر بأصدقائنا أبداً .

وضغط حروف كلمة (أصدقائنا) هذه ، ثم ابتسم ، مكرراً :

- أصدقاؤنا يا سيد (إيفانوفيتش) .

بادله (إيفانوفيتش) ابتسامته بمثلها ، وتعلقت عينا كل منهما بعينى الآخر لحظات ، فى تحد واضح سافر ، قبل أن ينفجر الروسى ضاحكاً فجأة ، فى سخرية عجيبة ، وهو يهتف :

- هذا يروق لى .. يروق لى كثيراً .

ثم التفت إلى (ميرا) ، قائلاً :

- هيا .. أعيدى ضيوفنا الأعزاء إلى (موسكو) .

تبع الثلاثة (ميرا) ، فى حين وقف (إيفانوفيتش)

يراقبهم، وقد عقد كفيه خلف ظهره، وما إن بلغوا باب حجرة مكتبه الفاخرة، حتى سأل في هدوء صارم:

- في أية دولة من دول الشرق الأوسط، ستقومون بمهمتكم الكبيرة هذه؟!

استدار إليه (هانز)، مجيبًا في هدوء:

- (مصر).

وتألقت عينا (إيفانوفيتش) في قوة، على الرغم من أن الجواب لم يكن مفاجئًا له..

لم يكن مفاجئًا على الإطلاق.

* * *



٢ - الغموض..

« كل ما تحتاج إليه هو قليل من الراحة يا بطل... »

- نطق رئيس الإدارة الطبية، في المخابرات العامة المصرية العبارة، وهو يبتسم ابتسامة كبيرة، قبل أن يربت على كتف (أدهم صبري)، مستطردًا:

- لو أن شخصًا آخر أصيب بكل هذه الرصاصات للقي مصرعه حتمًا.. من فرط الألم على الأقل، ولكن من الواضح أنك تتمتع ببنية قوية، وإرادة فولاذية، تتجاوز الحدود التي اعتدناها يا صديقي.

ثم أطلق ضحكة قصيرة، قبل أن يضيف:

- أو أنك مازلت تصر على الاحتفاظ بلقب (رجل المستحيل) هذا.

ابتسمت (منى)، وهي تقول في حنان:

- وهل يمكن أن يفقده أبدًا؟!

أشار الطبيب بيده ، قائلاً :

- حذار يا آنسة (منى) ، فالعميد (أدهم) لم يعد إلى حالته الطبيعية بعد ، ولنحمد الله (سبحانه وتعالى) ، على أن كل ما حدث لم يصبه بعاهة دائمة ، أو بعجز مستديم ، يقتضى ابتعاده عن العمل الميدانى ، والاقتصار على منصب إدارى معتاد .

غمغم (أدهم) فى سخرية :

- هل تعتقد أنه سيناسبنى منصب مدير الأرشيف مثلاً ؟!

ابتسم الطبيب ، وهو يجيب :

- دعابة طريفة يا سيادة العميد ، ولكن أخشى أن تحولها إلى حقيقة ليس بالأمر العسير أو البعيد ، فجسمك ، بحالته هذه ، ومهما بلغت قوته ، هو فى النهاية مجرد جسد بشرى مصاب ومنهك ، ويحتاج إلى راحة طويلة ؛ لاسترداد نشاطه وحيويته ، وإلا فستأتى لحظة ، ينهار فيها تمامًا ، ولا يعود من الممكن إصلاحه قط .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول فى توتر :

- لا يمكن أن أتوقف الآن .. (سونيا) أخفت ابنى فى مكان غامض [*] ، وعلىَّ أن أبذل قصارى جهدى لاستعادته ، مهما كان الثمن .

قال الطبيب فى حزم :

- وهل تعتقد أن ابنك سيسعد بعودته إلى أب معاق ؟!

قال (أدهم) فى عناد :

- كل دقيقة تمضى ، وهو تحت رعاية تلك الأفعى ، تعنى أنه يفقد هويته أكثر وأكثر .

اقتربت (منى) منه ، ومسحت بيدها على رأسه فى حنان ، قائلة :

- ومن قال : إنك ستنجح فى استعادته بحالتك هذه ؟!

أجاب فى توتر :

- ربما ببعض التدريبات ...

(*) راجع قصة (سقوط النسر) .. المغامرة رقم (١٣٠) .

قاطعه الطبيب :

- أية تدريبات ياسيادة العميد ؟! لقد بذلت جهداً مضنياً ، ونشاطاً خرافياً ، وسط جليد (ألاسكا) ، وهذا أنهك جسدك الكثير والكثير ، وخاصة بعدما أجهدته حتى النخاع ، في أحراش (كولمبيا)[*] ، إثر إنقاذك لفريقنا الصناعي[**] ، وبعد إصابتك العنيفة وقتئذ ، ولو أنك واصلت إنهاكه على هذا النحو ، سيكون الثمن باهظاً للغاية ..

صمت (أدهم) تماماً هذه المرة ، ورفع عينيه متطلعاً بحنين (منى) الذابلتين الحزينتين ، وغصة كبيرة تؤلم حلقه وقلبه ..

كم يؤلم أن يجبره القدر على هذا ..

على ترك ابنه في أحضان (سونيا جراهام) ، أفعى (الموساد) الشرسة ، التي تبذل قصارى جهدها لمسخ هويته ، وغرس المبادئ اليهودية الصهيونية في أعماقه البضة النقية ..

(*) راجع قصة (الصحوة) ... المغامرة رقم (١٢٨) .
(**) راجع قصة (عملية النيل) ... المغامرة رقم (١٢٥) .

كم يؤلمه أن يجد نفسه ضعيفاً واهياً ، في الوقت الذي تحتاج منه أعماقه إلى قمة الحيوية والنشاط والقوة ..

ودون أن تفتح (منى) شفتيها ، قرأ الجواب في أعمق أعماق عينيها ..

اصبر يا حبيب العمر ..

اصبر حتى تمضي تلك الأزمة ، وتنزاح الغمة ، وتعود كل الأمور إلى نصابها ..

اصبر ..

اصبر ..

كلنا بشر ..

حتى أنت ..

مهما بلغت خبراتك ، ومهاراتك ، وتجاربك ، وقوتك ..

ولأننا بشر ، فلابد أن تمضي بنا الحياة كموجة هادرة ، في بحر متلاطم ..

يوماً ترتفع .. ويوماً تنخفض ..

وكل ما عليك هو أن تؤمن ..

وتشكر ..

وتصبر ..

والعجيب أنه ، وعلى الرغم من مرارته وتوتره ، قد شعر بالاسترخاء والراحة ، مع نقاء عينيها وحنانها ، ووجد نفسه يضغط يدها في حب ، هامساً :

ـ أشكرك .

خفق قلبها ، ورقص بين ضلوعها في سعادة ، وهي تهمس بدورها :

ـ حمداً لله على سلامتك .

ابتسم الطبيب ، وتنحنح في حرج ، وكأنما يكره أن يفسد تلك اللحظات العاطفية بينهما ، قبل أن يقول :

ـ معذرة ، ولكن هناك أمر ينبغي أن نحسمه ، قبيل انصرافي من هنا ..

احمر وجه (منى) خجلاً ، في حين التفت إليه (أدهم) ، متسائلاً في اهتمام :

ـ وما هو ؟!

أجابه الطبيب :

ـ الزملاء المتخصصون هنا درسوا التقارير الطبية ، الواردة من الولايات المتحدة الأمريكية ، بشأن (جيهان) و(نادية) و(بترو) ، ووجدوا أنه من الممكن إحضارهم بسلام ، ليستكملوا علاجهم هنا ، لو أمكننا استئجار طائرة طبية خاصة .

قال (أدهم) ، في اهتمام شديد :

ـ عظيم .. سأجري اتصالاً فورياً بمؤسستي في (نيويورك) ، وبحونا (كارولينا) ، ليتم إرسالهم بطائرة طبية إلى هنا ، في أسرع وقت ممكن .

قالت (منى) في قلق :

ـ هل تعتقدان أن نقلهم سيكون آمناً ، في ظل هذه الظروف ؟! لست أقصد من الناحية الطبية ، ولكن من الناحية الأمنية البحتة ، فعدوتنا اللدود (سونيا جراهام) مازالت مختفية ، ومازلنا نجهل أين هي بالضبط ، ولا من كان الزعيم الغامض ، الذي عملت لحسابه في أقوى منظمة جاسوسية عرفها التاريخ ، ومن المحتمل أن تحاول إيذاء الرفاق لمجرد أن ...

قاطعها صوت قوى صارم ، يقول :

ـ لن نسمح بحدوث هذا أبدًا .

التفت الكل إلى مصدر الصوت ، وابتسم (أدهم) ، قائلاً :

ـ مرحبًا ياسيادة المدير .. كم تسعدنى رؤيتك هنا .

ابتسم مدير المخابرات بدوره ، وألقى التحية عليهم ، قبل أن يتخذ مقعدًا مجاورًا لفراش (أدهم) ، قائلاً :

ـ أنا الذى تسعده رؤيتك يا (ن ـ ١) ، فالانتصارات التى حققتها ، فى الآونة الأخيرة ، صارت حديث الكل هنا ، حتى إن الزملاء كانوا يستعدون لإقامة حفل لاستقبالك ، فور عودتك من الولايات المتحدة الأمريكية ، ولكننى أقنعتهم بتأجيله إلى أن يتم شفاؤك .

قال (أدهم) فى امتنان :

ـ أرجو أن تبلغهم جميعًا شكرى وتحياتى ياسيدى .

قال المدير :

ـ بالتأكيد .

ثم تراجع فى مقعده ، متابعًا :

ـ أما بخصوص (جيهان) و(نادية) و(بترو) ، فقد سافر فريق من أفضل رجالنا إلى الولايات المتحدة الأمريكية بالفعل ، باعتبارهم طاقم أمن خاصًا بسفارتنا فى (واشنطن) ، وسيعملون على حماية الجميع ، خلال رحلة عودتهم إلى هنا ، وكل أطباء مستشفى (وادى النيل) يستعدون لاستقبالهم ، وإكمال علاجهم هنا .

تنهد (أدهم) مغمغمًا :

ـ حمدًا لله .

ابتسم الطبيب ، قائلاً :

ـ عظيم .. هذا يحسم الأمر تمامًا .

وافقه مدير المخابرات بإيماءة من رأسه ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ والآن ، اسمحا لى بالانفراد بالعميد (أدهم) بعض الوقت ، فلدينا عمل ، ينبغى أن نناقشه معًا .

بدت الدهشة على وجه (منى) ، فى حين هتف الطبيب مستنكرًا :

ـ عمل ؟! التقرير الذى أرسلته إليكم يحتم أن ...

قاطعه المدير في حزم :

- اطمئن يا سيادة الطبيب .. سنلتزم بكل ما أوصيت به .

ثم التفت إلى (أدهم) ، واستعاد ابتسامته ، قائلاً :

- نحن أيضاً نرفض المخاطرة بفقد أفضل رجالنا .

نقل الطبيب بصره بينهما في شك ، قبل أن يغادر الحجرة ، قائلاً في عصبية :

- أرجو أن تدركوا أهمية الالتزام بما نصحت به .

غمغم المدير :

- إننا ندرك هذا جيداً .

تطلعت (منى) لحظة إلى (أدهم) ، ثم قالت في خفوت :

- سأنتظر في الخارج .

ابتسم (أدهم) في حب ، مغمغماً :

- عظيم .

وتابعها ببصره ، حتى غادرت الحجرة ، ولم تكد

تفعل ، حتى اعتدل جالساً على طرف فراشه في حماس ، وهو يسأل المدير في اهتمام :

- ما طبيعة هذا العمل يا سيدي ؟!

تطلع إليه المدير لحظة في صمت ، قبل أن تنطلق من صدره تنهيدة ، وينهض من مقعده ، متجهاً إلى النافذة ، ثم يتطلع عبرها لحظة ، ويقول :

- ما معلوماتك عن (إيفان إيفانوفيتش) ؟!

أجابه (أدهم) في سرعة :

- (إيفان إيفانوفيتش) هو الأب الروحي لمنظمات (المافيا الروسية) منذ نشأت في (موسكو) ، إثر انهيار الاتحاد السوفيتي ، وتصاعد الأزمة المالية والغذائية ، وهو من مواليد (موسكو) ، في الأشهر الأولى لاندلاع الحرب العالمية الثانية .. كان يعمل في المخابرات السوفيتية ، ثم تمت إقالته ، مع تولي (جورباتشوف)[*] السلطة ، واختفى بعدها لعام واحد ،

(*) ميخائيل سيرجيفيتش جورباتشوف : رئيس سابق للاتحاد السوفيتي ، من مواليد عام ١٩٣١م ، تولى رئاسة الدولة عام ١٩٨٥م ، انضم إلى الحزب الشيوعي عام ١٩٥٢م ، وتدرج في مناصبه ،

قبل أن يظهر كزعيم لتنظيم إجرامى ، لم يلبث أن نما بسرعة ، فى ظل الأزمات الاقتصادية والسياسية ، حتى صار المتحكم الحقيقى فى (روسيا) كلها ، من خلف الستار .

وافقه مدير المخابرات بتنهيدة وإيماءة رأس ، قبل أن يلتفت إليه ، قائلاً :

- ما لم تتذكره ، هو أن (المافيا) الروسية ، بزعامة (بيلانوفيتش) هذا ، قد صارت أكبر مورِّد أسلحة ، لكل منظمة إرهابية فى العالم ، والعامل رقم واحد فى إشعال الحروب ، فى كل مكان ممكن ؛ لتخلق أسواق جديدة لأسلحتها ، التى تحصل عليها من مصادر شتى ، فى (الولايات المتحدة الأمريكية) ، و (الهند) ، و (تايوان) ، و (الصين) ، و (روسيا) نفسها ، مما

* حتى فاز بالرئاسة ، وفى عهده تم حل الاتحاد السوفيتى ، وتحويله إلى عدد من الدويلات المستقلة ، كما تم إلغاء سلطات الحزب الشيوعى ، الذى سيطر على البلاد لأكثر من نصف قرن ، وعلى الرغم من سياسته الإصلاحية ، فقد عزله (بوتين) عن السلطة ، وتولى رئاسة (روسيا) من بعده .

صنع منها بؤرة فساد دموية ، ومركزًا لشبكة عنكبوتية عملاقة ، لو واصلت اتساعها وانتشارها ، سيمكنها إخضاع العالم كله لسيطرتها ، خلال الأعوام العشرة القادمة .

قال (أدهم) فى حزم :

- دعنى أستعر عبارتك إذن ياسيدى .. لايمكن أن نسمح بحدوث هذا أبدًا .

أشار المدير بسبابته ، قائلاً :

- بالضبط .

ثم عاد يجلس على مقعده ، متابعًا :

- ولأن الوسيلة الوحيدة للقضاء على الأفعى ، هى تحطيم رأسها ، فلن يمكننا تحجيم نشاط (المافيا) الروسية ، إلا لو ضربنا الأب الروحى لها مباشرة .

ووضع يده على كتف (أدهم) ، مضيفًا فى حزم :

- والرجل الوحيد ، الذى يمكنه تحقيق هذا ، طبقًا لما قرره الكل ، هو أنت .. أنت يا (أدهم) .

بدت الدهشة على وجه (أدهم) ، وهو يقول :

- أنا مستعد لدفع حياتي كلها ، من أجل (مصر) ، ولكن تقرير الطبيب ...

قاطعه المدير :

- اطمئن .. ليس لدينا أدنى استعداد لمخالفة توصيات الطبيب ، لأننا نعلم أن هذا سيخفض من احتمالات الفوز ، ويرفع احتمالات فشلك إلى الذروة .

تصور (أدهم) أنه قد أدرك ما يعنيه المدير ، فقال في حزم :

- أنا مستعد تماماً للمهمة يا سيدي ، وما إن أستعيد عافيتي حتى ...

قاطعه المدير مرة أخرى :

- لست أظننا نستطيع الانتظار طويلاً يا (ن - ١) .

وعاد ينهض من مقعده ، قائلاً :

- فمن خلال أحد مصادرنا السرية في (موسكو) ، علمنا أن (المافيا) الروسية تستعد لعقد صفقة ضخمة ، مع ثلاثة من أكبر زعماء المنظمات الإرهابية

في العالم ، وأنها ستمدهم بأقوى وأحدث الأسلحة ، للقيام بمهمة هنا ..

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف بصوت قوي :

- في (مصر) .

انعقد حاجبا (أدهم) في شدة وحزم ، ونهض من فراشه ، قائلاً :

- في هذه الحالة ، أعتقد أن البقاء في المستشفى ، والخضوع لنصائح الطبيب ، يعد نوعاً من الخيانة ، مادامت (مصر) تواجه خطراً كهذا .

أشار إليه المدير في حزم ، وهو يقول :

- كلا يا (أدهم) .. قلت لك إننا غير مستعدين لمخالفة توصيات الطبيب أبداً ..

هتف (أدهم) :

- ولكن يا سيدي ...

أوقفته تلك النظرة المطلة من عيني المدير ، فبتر عبارته في تساؤل حائر ، جعل المدير يشد قامته ، قائلاً في حزم :

- إنك ستتولى مهمة تدمير (المافيا) الروسية، ولكن دون أن تغادر (مصر) لحظة واحدة.

وانعقد حاجبا (أدهم) في شدة..

فقد بدت له عبارة المدير عجيبة..

عجيبة وغامضة..

للغاية..

* * *

انطلقت قهقهة عالية مجلجلة، من بين شفتي (نيكولاس)، وهو يضم إليه شقراء روسية فاتنة، ويرفع كأسه عاليًا، هاتفًا:

- نخب أكبر صفقة في تاريخنا.

قالها، وألقى محتويات الكأس كلها في حلقه، فاحتقن وجهه بشدة، وسعل في عنف، قبل أن يقهقه مرة أخرى، ويلتفت إلى (شوكت) و(هانز)، هاتفًا:

- كم يروق لي هذا الرجل.. أراهن على أن تعاوننا معه سيجعلنا أقوى زعماء إرهاب، في العالم أجمع، وربما...

بتر عبارته بغتة، وبدا عليه مزيج من الحيرة والتوتر، وهو يتطلع إلى عيني (هانز)، اللتين تطل منهما نظرة شاردة مهمومة، ثم دفع الروسية الشقراء بعيدًا في خشونة، دون أن يبالي بصرخة الدهشة والألم، التي انطلقت منها، وسأل (هانز)، متسائلاً في توتر:

- ماذا بك؟! لماذا تبدو مهمومًا هكذا، والرجل وفر لنا كل وسائل المتعة، على نفقته الشخصية؟!

مط (هانز) شفتيه، ونفث دخان سيجارته الأمريكية، مجيبًا في عصبية:

- لست أشعر بالارتياح.

ارتفع حاجبا (نيكولاس) في دهشة، وهتف:

- لست تشعر بالارتياح؟! لماذا؟!

واعتدل (شوكت)، قائلاً بالدهشة ذاتها:

- إننا نتعامل فرادى مع (المافيا) الروسية، منذ أكثر من عشر سنوات، وهو يحترم صفقاته في كل مرة.

أضاف (نيكولاس) في حماس :

ـ ويتعامل بسخاء كبير مع عملائه كما ترى .

هزّ (هانز) رأسه في قوة ، ونفث دخان سيجارته في عصبية ، قائلاً :

ـ ربما ، ولكن هذا لا ينفي أنه غامض تماماً هذه المرة .

سأله (نيكولاس) في حيرة :

ـ فيم ؟!

أجاب (شوكت) في حزم :

ـ في حديثه عن تلك الحدود ، التي سيتم عندها تسليم الصفقة .. أليس كذلك يا (هانز) ؟!

أومأ (هانز) برأسه إيجاباً ، وهو يلتقط دخان سيجارته ، قبل أن يقول في عصبية متوترة :

ـ لماذا لم يفصح عن طبيعة تلك الحدود بالضبط ؟!

غمغم (نيكولاس) :

ـ ربما يدفعه حجم الصفقة إلى التكتم .

مطّ الأمريكي شفتيه ، وقال :

ـ ولكننا أصحاب الصفقة ، وينبغي أن نعلم .

هزّ (نيكولاس) كتفيه ، وقال :

ـ هذا الأمر لم يقلقني ؛ لأنني أدركت على الفور أنه ما دامت العملية ستتم في (مصر) ، فقد كان يقصد أن يتم التسليم عند حدودها .

قال (هانز) في توتر :

ـ مستحيل ! لقد أخبرنا أن التسليم سيتمّ عند الحدود ، قبل أن تخبره أين ستتم العملية الكبرى بالضبط ، وحتى لو أنه يعلم منذ البداية ، كما تصوّر ، فأية حدود تلك التي يقصدها ؟! هل ..

أجابه (شوكت) ، قبل أن يتمّ عبارته :

ـ الحدود الشرقية بالطبع

سأله في حدة :

ـ ولماذا الشرقية بالذات ؟!

ابتسم التركي ، وهو يشير إلى رأسه ، قائلاً :

ـ أمر بسيط للغاية أيها العبقري، فالحدود الشمالية لـ (مصر) هي البحر الأبيض المتوسط، وعلى الحدود الغربية والجنوبية دولتان عربيتان صديقتان، هما (ليبيا) و (السودان)، أما الحدود الشرقية، فهي المتاخمة تمامًا للدولة الوحيدة، في الشرق الأوسط كله، التي يسعدها أن تواجه (مصر) عملية إرهابية عنيفة كعمليتنا، على الرغم من معاهدة السلام، التي تربط بينهما منذ أكثر من عشرة أعوام.

انعقد حاجبا (هانز)، وهو يغمغم:

ـ هل تقصد ...

قاطعه في حزم:

ـ (إسرائيل) .. نعم يا رجل.

كان الجواب منطقيًا تمامًا، ويمكن أن يحمل تفسيرًا حاسمًا لكل تلك الغموض، حتى إن (هانز) قد هز رأسه في صمت، وهو يشعل سيجارة أمريكية جديدة ..

ولكن تلك النظرة المطلّة من عينيه، كانت تعني أن عقله لم يشعر بالارتياح ..

لم يشعر به أبدًا ..

« إنه غير مقتنع .. »

نطقت (ميرا) العبارة بنفس البرود الصارم، وهي تراقب شاشة الرصد، التي تنقل كل ما يحدث داخل أجنحة زعماء الإرهاب الثلاثة، عبر كاميرات فيديو دقيقة خفية، فارتسمت على شفتي (إيفتوفيتش) ابتسامة هادئة، وهو يقول:

ـ هذا يعني أنه أكثرهم ذكاء.

راقبت الشاشة بضع لحظات، قبل أن تقول:

ـ التركي يبدو خبيثًا، وواسع الحيلة، ولكنه لا يتميز بذلك الشك، الذي صنع شخصية الأمريكي، أما اليوناني، فهو أكثرهم بدائية وأقلهم حنكة وذكاء، وغرائزه تحكم تصرفاته إلى حد كبير .. أعتقد أنه الهدف المناسب.

صمت (إيفتوفيتش) بضع لحظات، ثم هز رأسه في بطء، قائلاً:

ـ خطأ.

استدارت إليه دون أية مشاعر، فأشار بسبابته إلى الشاشة، قائلاً في حزم:

- الألمانى هو الهدف المناسب.

سألته، وكأنما الأمر لا يعنيها:

- مع حذره وشكوكه؟!

أومأ برأسه إيجابًا في بطء، وقال:

- الحذر والشك طاقة كبيرة، يمكننا ببعض الذكاء، أن نحولها إلى قوة دفع إيجابية، تفيدنا بأكثر مما تتصورين.

سألته:

- كيف؟!

ابتسم، وهو يشير إلى رأسه، قائلاً:

- هذه هي البراعة.

قالها، ونهض من مقعده، وصب لنفسه كأسًا، وهو يتابع:

- الألمانى قلق بشدة، بشأن تلك الحدود، التي سيتم

عندها تسليم الصفقة، ولكنه، في الوقت ذاته، يميل إليك بشدة، أكثر من اليونانى، الذي تتصورين أن غرائزه تحكم تصرفاته، فهو الوحيد الذي حاول مغازلتك، في طريقكم إلى هنا، وصدك له استفز مشاعره حتمًا، وولَّد داخله رغبة جامحة في إخضاعك، وإثبات تفوقه عليك.

سألته في برود:

- هل تطلب مني مغازلته؟!

هز رأسه في بطء، وارتشف رشفة من كأسه، وهو يبتسم، قائلاً:

- أسلوب مباشر أكثر مما ينبغي.

وعاد إلى مقعده، ووضع ساقًا فوق الأخرى، وجلس يتابع شاشة الرصد بضع لحظات، ارتشف خلالها رشفة أخرى من كأسه، وقال:

- لقد أعددت إدارة اللعبة على نحو أكثر براعة، فهؤلاء الحمقى ومن خلفهم، يتصورون أنها أكبر صفقة في حياتهم، وهي بالفعل أكبر صفقة،

وابتسم في سخرية ، مضيفًا :

ـ في حياتنا نحن .

قالها ، وألقى ما تبقَّى من كأسه في جوفه بدفعة واحدة ، ثم اتسعت ابتسامته أكثر وأكثر ، وبدت قريبة الشبه بابتسامة ذئب ..

ذئب روسي ماكر ..

وقاتل .

* * *

٢ ـ تحت علم (مصر) ..

دوت ثلاث رصاصات متتالية ، في قاعة التدريبات الخاصة ، المقامة في مكان ما من أرض (مصر) ، والتي تحمل شعار المخابرات العامة ، واندفع شاب قوي البنية عبر القاعة ، وهو يحمل مسدسًا آليًا ، ووثب متجاوزًا حاجزًا معدنيًا مرتفعًا ، ثم انحنى متفاديًا كرة معدنية ، انطلقت نحوه مباشرة ، قبل أن ينبطح أرضًا ، ويتدحرج في مرونة ، وهو يطلق رصاصتين أخريين ، نسفتا هدفين صغيري الحجم ، ووثب واقفًا على قدميه ، ليعدو نحو حلقة كبيرة ، اشتعلت فيها النيران ، وقفز عبرها دون لحظة تردد واحدة ، ودار بجسده دورة رأسية في الهواء ، ثم هبط على قدميه ، وهو يلهث في انفعال ..

وبابتسامة هادئة ، غمغم رجل يراقب الموقف في اهتمام :

ـ رائع .

ثم أشار بيده إلى مدير التدريب ، الواقف إلى جواره ، في حجرة المراقبة العليا ، والذي قال عبر مكبر صوتي إليكتروني :

ـ النقيب (علاء فريد) .. استرح .

أطلق الشاب تنهيدة ، وهو يسمح لعضلاته بالاسترخاء ، ويدس مسدسه في حزامه ، فتابع مدير التدريب :

ـ القائد يطلبك في مكتبه فورًا

انعقد حاجبا الشاب في تساؤل ، ولكنه أدى التحية العسكرية ، هاتفًا في صوت قوي :

ـ فورًا يا سيدي .

عاد جسده يسترخي مرة أخرى ، وهو يتجه نحو حجرة تغيير الملابس ؛ لارتداء زيه العسكري ، قبل أن يذهب لمقابلة القائد ..

وفي أعماقه تردد تساؤل ملح ..

ترى لماذا يطلب القائد مقابلته اليوم ؟!

هل وفق في تدريباته ، وتم ترشيحه للالتحاق بالمخابرات العامة أخيرًا ؟!

هل تحقق حلم عمره ، بعد سنوات طويلة من الكفاح ؟!

هل ؟!

استبدل بثوب التدريب زيه العسكري في سرعة ، واتجه في خطوات واسعة ثابتة ، إلى مكتب القائد ، واستقبله هناك مدير مكتبه ، الذي قاده على الفور إلى حجرة قائد معسكر التدريبات الخاصة ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ تفضل يا سيادة النقيب .. إنهم بانتظارك .

إنهم ؟!

لم يفهم (علاء) في البداية ما الذي تعنيه صيغة الجمع هنا ؟!

المفترض أن القائد وحده كالمعتاد ، فلماذا استخدم مدير مكتبه صيغة الجمع هذه المرة ؟!

ترى هل ...

قبل أن يستطرد في أفكاره ، وقع بصره على ذلك الرجل الأنيق الوسيم الممشوق ، الذي يقف عند النافذة ،

والذي استدار يتطلَّع إليه بابتسامة هادئة ، في حين أشار إليه قائد معسكر التدريبات الخاصة ، قائلاً :

ـ ادخل يا نقيب (علاء) .

تقدَّم (علاء) داخل الحجرة ، وهو يختلس النظر إلى الرجل ، الذي بدا قوى البنية ، على الرغم من الشحوب الذي كسا ملامحه إلى حد ما ، وإلى فوديه اللذين اصطبغا بشيب زاده وقارًا وأناقة ووسامة ، وتساءل في أعماقه عمن يكون ، خاصة وأنه كان الوحيد تقريبًا ، في المعسكر كله ، الذي يرتدي حلة مدنية أنيقة ، ورباط عنق زاهي الألوان ..

ولم يطل تساؤله كثيرًا ..

لقد أشار قائده إلى ذلك الرجل ، قائلاً :

ـ سيادة العميد يرغب في التحدث إليك قليلاً .

سيادة العميد ؟

إذن فالرجل يحمل رتبة عسكرية ، على الرغم من مظهره المدني الهادئ ..

وهو يريد التحدث إليه !!



إلى أن يستطرد في أفكاره ، رفع بصره على ذلك الرجل الأنيق الوسيم الممشوق ، الذي يقف عند النافذة ، والذي استدار يتطلع إليه بابتسامة هادئة ..

ما الأمر إذن ؟!

ماذا يحدث بالضبط ؟!

« سأترككما وحدكما .. » .

نطقها القائد في حزم ، ثم التفت إلى الرجل ، قائلاً :

ـ الحجرة آمنة ومؤمَّنة تماماً .

غمغم الرجل في هدوء :

ـ أعلم هذا .

أشار إليه القائد بالتحية ، وغادر المكان كله ، تاركاً الرجل و (علاء) وحدهما ..

ولدقيقة كاملة ، خيم صمت تام على الحجرة ..

وطوال تلك الدقيقة ، كان الرجل يتطلَّع إلى (علاء) بنظرة فاحصة مدققة ، متفرِّسة ، جعلت هذا الأخير يتململ في توتر شديد ، قبل أن يقطع الرجل حبل الصمت ، قائلاً بنفس الهدوء ، الذي حمل هذه المرة لهجة آمرة ، توحي بأنه اعتاد طيلة عمره أن يأمر فيطاع ، حتى إنه لم يعد يتوقَّع العكس :

ـ اجلس .

اتجه (علاء) بنفس التوتر إلى أقرب مقعد ، وجلس عليه بثبات عسكري ، جعل الرجل يبتسم ، وهو يقول :

ـ استرخ أيها النقيب .. هذا أفضل لعقلك وعضلاتك ، فالمفترض أن تستوعب ما سأخبرك به من المرة الأولى .

تنحنح (علاء) ، وقال في توتر :

ـ وما الذي ستخبرني به .. يا سيدي ؟!

اتسعت ابتسامة الرجل ، وهو يتطلَّع إليه بضع لحظات أخرى في صمت ، قبل أن يجلس على المقعد المقابل له ، قائلاً :

ـ لقد قرأت ملفك كله ، وراجعت تقارير تدريباتك .. بل وتابعت تدريب اليوم بنفسي ، قبل أن يقع اختياري عليك .

ردد (علاء) في حذر :

ـ عليَّ أنا .

أومأ الرجل برأسه إيجاباً ، وقال :

- إنك مناسب تماماً للمهمة .

سأله (علاء) فى حذر أكبر :

- أية مهمة ؟!

تطلع إليه الرجل مرة أخرى فى صمت ، قبل أن ينهض من مقعده ، ويتجه إلى النافذة ، ويتطلع عبرها ، قائلاً :

- مهمة ليست بالبسيطة ، تحتاج إلى شباب فى مثل كفاءتك وقدراتك ، لديهم الحماس الكافى ، والقدرة على احتمال المشاق والصعوبات ، والجرأة المناسبة ، للعمل خارج الحدود ، ومواجهة أية مخاطر ممكنة ، فى سبيل نصرة الوطن .

- انتفضت كل ذرة فى كيان (علاء) ، مع كلمات الرجل ، حتى إنه هب واقفاً من مقعده ، دون أن يدرى ، والرجل يلتفت إليه ، مكملاً فى حزم شديد ، وقد أطلت من عينيه نظرة قوية :

- مهمة من أجل (مصر) أيها النقيب .

« رقبتى فداء لـ (مصر) يا سيادة العميد .. »

ابتسم الرجل فى هدوء ، مع الجملة التى حملت حماس الدنيا كله ، والتى انطلقت من بين شفتى (علاء) ، وتطلع إلى هذا الأخير لحظة ، قبل أن يقول :

- هذا ما توقعته .

شد (علاء) قامته ، قائلاً :

- أنا مستعد لأداء المهمة فوراً يا سيادة العميد .

هز الرجل رأسه ، قائلاً :

- ليس بهذه السرعة .

ثم التقط من جيبه بطاقة صغيرة ، مغلفة بمادة شفافة ، وناولها إلى (علاء) ، قائلاً :

- ما دمت قد قبلت المهمة ، فأنت تتبعنى مباشرة ، منذ هذه اللحظة .

التقط (علاء) البطاقة ، وارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يتطلع إليها ..

كانت مصنوعة بأسلوب يصعب ، إن لم يستحل ، تزويره ..

وكانت تحمل صورته ، مع رقم كودى خاص ..

أما فى خلفيتها ، فقد كان هناك شعار ، طالما حلم بأن تحمله أوراق هويته يومًا ..

شعار عبارة عن صقر قوى ، ينتزع أفعى سامة من الأرض ..

وبكل حماس وانفعال الدنيا ، هتف النقيب (علاء) :

ـ هل .. هل يعنى هذا أنه قد تم قبول انضمامى إلى المخابرات العامة ؟!

شدّ الرجل قامته ، وقال فى صرامة :

ـ وهل يصنع هذا فارقًا ؟! إنك فى كل الأحوال ستعمل تحت علم واحد .. تحت علم (مصر) ..

مرة أخرى ، سرت ارتجافة قوية فى جسد الشاب ، فشدّ قامته بحركة غريزية ، وضرب كعبيه ببعضهما ، ثم أدى التحية العسكرية فى قوة ..

ودون أن ينبس ببنت شفة ..

أو يعبّر بحرف واحد ، عن الحماس الجارف ، الذى تفجّر فى كل ذرة من كيانه ..

ولأن الرجل الواقف أمامه ، كان يدرك تمامًا طبيعة تلك المشاعر ، التى طالما عاشها ، وامتزج بها حتى النخاع ، فقد أطلّت من عينيه نظرة إعجاب خاصة ، وهو يتطلع إلى الشاب ، قبل أن يمدّ يده ليصافحه ، قائلاً :

ـ مرحبًا بك فى الفريق ..

شدّ الشاب على يده فى حماس ، وارتسمت فى عينيه نظرة متسائلة ، جعلت الرجل يبتسم مرة أخرى ، متابعًا :

ـ بقى أن تعرف إلى من تتحدّث بالضبط .

غمغم (علاء) ، مستعيدًا حذره :

ـ إلى ضابط بالمخابرات العامة .

اتسعت ابتسامة الرجل ، وهو يجيب :

ـ بالضبط .. أنت تتحدّث إلى العميد (أدهم صبرى) ..

لم يكد (أدهم) ينطق اسمه ، حتى انتفضت كل ذرة فى كيان النقيب (علاء) ..

بمنتهى العنف ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدق فى الواقف أمامه فى ذهول ، وقد تحول قلبه إلى مضخة قوية ، تضخ بمنتهى الشدة والسرعة ..

فقد كانت المفاجأة مذهلة !!

وبأى مقياس !!

* * *

« الأسطورة ؟! »

صرخت الملازم أول (ريهام صادق) بالكلمة ، فى انفعال جارف ، قبل أن تمسك كتفى زميلتها (سلمى) ، هاتفة :

ـ أهذا حقيقى ؟! هل رأيته بنفسك ؟! لايمكن أن أصدق هذا .

ابتسمت (سلمى) ، قائلة :

ـ نعم .. رأيته بنفسى يا مجنونة (أدهم صبرى) .. لقد وصل بسيارته إلى الساحة ، منذ ساعة واحدة ، واستقبله القائد بنفسه ، و ...

قاطعتها (ريهام) فى توتر :

ـ ولكن من أدراك أنه هو ؟!

سألتها (سلمى) فى دهشة :

ـ ماذا تعنين ؟!

أجابتها فى قلق :

ـ لقد درسنا الكثير عن عمليته ، وأسلوبه المتفرد فى عالم المخابرات ، ولكن أحدًا منا لم يره شخصيًا أبدًا .

ابتسمت (سلمى) ، وأشارت إلى صدرها فى زهو ، قائلة :

ـ أنا رأيته .

شعرت (ريهام) بشىء من الغيرة ، وهى تسألها :

ـ كيف ؟!

هزت (سلمى) كتفيها ، قائلة :

ـ لقد أخبرتك من قبل أن خالى (قدرى) يعمل أيضًا فى المخابرات العامة ، وهو واحد من أصدق أصدقاء (أدهم صبرى) ، و ...

لم تستطع (ريهام) كتمان تلك الغيرة الواضحة، التي أطلت من عينيها وصوتها، وهي تقاطعها في توتر، قائلة:

- كفى.

ابتسمت (سلمى)، قائلة، وهي تميل نحوها:

- المهم أنه هنا.. بشحمه.. ولحمه..

مطت (ريهام) شفتيها وتنهدت، قائلة:

- وما شأننا نحن بهذا؟! أمثاله من أصحاب الرتب الكبيرة يجيئون ويرحلون، دون أن نشعر بهم أو يشعروا بنا.. نحن بالنسبة لهم مجرد أرقام وإحصائيات فحسب.

ضحكت (سلمى)، قائلة:

- من يسمعك تتحدثين بكل النعومة والأسى، لايمكن أن يتصور قط أنك أول فتاة تحمل لقب (خبير مفرقعات)، في وزارة الدفاع المصرية، عبر تاريخها كله.

ابتسمت (ريهام)، وحاولت أن تطرد كل الأفكار السلبية من رأسها، وهي تقول:

- ولو أنني محظوظة قليلاً، فسأحمل اللقب نفسه، في المخابرات العامة المصرية أيضاً.

هزت (سلمى) رأسها، ولوّحت بسبابتها، قائلة:

- لامجال لذرة واحدة من الحظ هنا.. لقد رأيت بنفسك كيف يدققون بمنتهى الشدة، في اختيار أي شيء وأي شخص، ولو أنك نجحت في الالتحاق بالمخابرات العامة، فسيكون هذا لأنك أهل لها فحسب.

وعادت تشير إلى صدرها، مضيفة:

- هذا ما أكده لي خالي.

ثم ترقصت على شفتيها ابتسامة عابثة، وهي تميل نحوها مرة أخرى، هامسة:

- ولكن صدقيني.. في اختبار اليوم كنت موهوبة بحق، فإيقاف مفعول قنبلة زمنية إليكترونية، خلال ست ثوان فحسب، هو إنجاز رائع، بأي مقياس معروف، أما فكرة تحويل قلم حبر عادي، وشمعة، وعلبة مبيد حشري إلى قنبلة زمنية، فهي ضربة عبقرية بالفعل.

لم تستطع (ريهام) كتمان تلك الغيرة الواضحة، التي أطلت من عينيها وصوتها، وهي تقاطعها في توتر، قائلة:

- كفى.

ابتسمت (سلمى)، قائلة، وهي تميل نحوها:

- المهم أنه هنا.. بشحمه، ولحمه..

مطت (ريهام) شفتيها وتنهدت، قائلة:

- وما شأننا نحن بهذا ؟! أمثاله من أصحاب الرتب الكبيرة يجيئون ويرحلون، دون أن نشعر بهم أو يشعروا بنا.. نحن بالنسبة لهم مجرد أرقام وإحصائيات فحسب.

ضحكت (سلمى)، قائلة:

- من يسمعك تتحدثين بكل التعاسة والأسى، لا يمكن أن يتصور قط أنك أول فتاة تحمل لقب (خبير مفرقعات)، في وزارة الدفاع المصرية، عبر تاريخها كله.

ابتسمت (ريهام)، وحاولت أن تطرد كل الأفكار السلبية من رأسها، وهي تقول:

- ولو أنني محظوظة قليلاً، فسأحمل اللقب نفسه في المخابرات العامة المصرية أيضاً.

هزت (سلمى) رأسها، ولوحت بسبابتها، قائلة:

- لا مجال لذرة واحدة من الحظ هنا.. لقد رأيت بنفسك كيف يدققون بمنتهى الشدة، في اختيار أي شيء وأي شخص، ولو أنك نجحت في الالتحاق بالمخابرات العامة، فسيكون هذا لأنك أهل لها فحسب.

وعادت تشير إلى صدرها، مضيفة:

- هذا ما أكده لي خالي.

ثم تراقصت على شفتيها ابتسامة عابثة، وهي تميل نحوها مرة أخرى، هامسة:

- ولكن صدقيني.. في اختبار اليوم كنت موهوبة بحق، فإيقاف مفعول قنبلة زمنية إلكترونية، خلال ست ثوان فحسب، هو إنجاز رائع، بأي مقياس معروف، أما فكرة تحويل قلم حبر عادي، وشمعة، وعلبة مبيد حشري إلى قنبلة زمنية، فهي ضربة عبقرية بالفعل.

هزّت (ريهام) كتفيها في حياء ، مغمغمة :

ـ أعتقد أن يفيد هذا .

هتفت (سلمى) :

ـ هل تمزحين ؟! إنك أكثرنا براعة في هذا المضمار ، ولولا الـ ...

قبل أن تتمّ عبارتها ، اندفع أحد الجنود إلى القاعة ، وهو يلهث في انفعال ، هاتفًا :

ـ قنبلة .

استدار كل المتدربين إليه في توتر شديد ، وهتفت (ريهام) ، وهي تندفع نحوه :

ـ ماذا تعني بهتافك هذا ؟!

لوّح بذراعه كلها ، صائحًا :

ـ سيادة العقيد (نور) كشف وجود قنبلة في سيارته .

لم يكد هتافه يكتمل ، حتى كانت (ريهام) تعدو بكل قوتها ، نحو ساحة انتظار السيارات ، وقلبها يدق في عنف وانفعال ..

وفي الساحة كانت هناك حالة من التوتر الشديد ، والجنود يبعدون كل السيارات ، عن سيارة العقيد (نور) ، رئيس قسم المفرقعات ، والذي استقرّ على مقعد القيادة جامدًا ، وهو يمسك عجلة القيادة في قوة ..

ومع شدة توترها ، كانت (ريهام) أول من بلغ موضعه ، وهي تهتف :

ـ ماذا هناك يا سيّدي ؟!

بدا صوته شديد التوتر ، وهو يجيب :

ـ قنبلة أيتها الملازم (ريهام) .. قنبلة من النوع الحساس لاختلاف الضغوط ، ستنفجر لو تحركت على مقعدي ، أو تركت عجلة القيادة .

انعقد حاجباها في توتر شديد ، ودار بصرها في السيارة كلها في سرعة ، وهي تسأله :

ـ وكيف كشفت أمرها يا سيّدي ؟!

أجابها في عصبية :

ـ أنسيت أنني محترف ؟!

غمغمت :

ـ كلا .. لم أنس .

ثم تراجعت خطوة ، وأشارت إلى الكل ، قائلة فى حزم :

ـ ابتعدوا .

هتفت بها (سلمى) :

ـ ربما لو تعاونت بعـ ...

قاطعتها فى صرامة شديدة :

ـ قلت : ابتعدوا ..

كان بعضهم يفوقهـا رتبة بدرجة أو درجتين ، إلا أن دقة الموقف ، مع لهجتها الحازمة الصارمة ، جعلتا الكل يتراجعون فى سرعة ، ويحتمون بالسواتر الرملية ، فى حين قال العقيد (أنور) فى توتر :

ـ ملازم أول (ريهام) .. هل تدركين طبيعة الموقف ؟!

أخرجت من جيبها أداة رقيقة ، وهى تجيب فى حزم :

ـ بالتأكيد .

ثم انحنت تعالج رتاج الباب ، فى خفة ودقة ، فقال الرجل :

ـ أى خطأ بسيط سيؤدى إلى انفجار القنبلة ، وسنلقى مصرعنا معاً .

غمغمت ، وهى تواصل عملها فى دقة :

ـ لن يحدث هذا بإذن الله .

نطقتها ، وهى تفتح الباب فى حذر شديد ، فازدرد لعابه ، قائلاً :

ـ لو حدث ، سنلقى مصرعنا معاً .

خيّل إليه أنها تلتقط أنفاسها بصعوبة ، وهى تتابع سلكاً رفيعاً بالغ الدقة ، يمتد من علبة عجلة القيادة ، إلى محور المقعد ، قبل أن تهمس :

ـ سيكون هذا قدرنا .

ثم انحنت تواصل تتبعها للسلك الرفيع ، قبل أن تلتقط من جيبها أداة أخرى ، قائلة فى صوت ثابت خافت :

ـ احبس أنفاسك لعشر ثوان على الأقل ياسيدى .

حبس الرجل أنفاسه بالفعل ، في حين مالت هي إلى الأمام ، بزاوية تحتاج إلى مرونة شديدة ، وراحت تعالج ذلك الجزء من عجلة القيادة ، في براعة وسرعة ، حتى عزلت السلك الرفيع عنه ، ثم انحنت إلى أسفل ، وأخذت تكرر ما فعلته ، مع نهاية السلك ، المتصلة بجهاز شديد التعقيد ، ملتصق بالعبوة الناسفة ، أسفل مقعد القيادة تماماً ..

ومن بعيد ، ارتجف صوت (سلمى) ، وهي تقول :

- كيف يمكنها أن تتقن عملها ، من هذه الزاوية ؟!

غمغم أحد زملائها :

- إنها موهوبة ؟!

قالت مذعورة :

- إلى هذا الحد ؟! من تعلمت هذا ؟!

لم يجب زميلها ، وهو يحبس أنفاسه بحركة تلقائية ، مع متابعته لما تفعله (ريهام) ، التي تصبب وجهها عرقاً ، وراحت أنفاسها تتلاحق ، من فرط التوتر والانفعال ، وهي تعمل في أدق جزء من القنبلة ..

في شعلة التفجير ذاتها ..

كان هذا يحتاج منها إلى منتهى الدقة ، والبراعة ، والهدوء ، و ...

والسرعة ..

وساد المكان كله صمت رهيب ..

صمت جعله يبدو أشبه بصورة ثابتة ، على شاشة فانوس سحري ..

وتعلقت بها كل العيون ..

والعقول ..

والقلوب ..

واحتبست الأنفاس ، حتى ليخيل لك أن الصدور لم تعد قادرة على الارتفاع والانخفاض ، وانعقد حاجبا العقيد (أنور) بشدة أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

و ...

« ها هي ذي .. »

اعتدلت (ريهام) فجأة ، والعرق يغمر وجهها وشعرها ، ناطقة هذه العبارة ، ورافعة يدها بجسم مستطيل ، خرجت منه عدة أسلاك ملونة ..

وثوان ، سيطر الصمت مرة أخرى على الساحة ..

ثم فجأة ، ارتفع هتاف قوى ..

هتاف كل زملاء (ريهام) ، وهم يندفعون نحوها ، ويهنئونها فى حماس منقطع النظير ..

وبابتسامة هادئة إلى حد عجيب ، غمغم العقيد (أنور) :

- كنت واثقًا من هذا .

احمر وجه (ريهام) خجلاً ، مع هتافات الانبهار والإعجاب ، وحاولت أن تتفادى وجوه زملائها ، و ...

وفجأة ، وقع بصرها على وجهه ..

لم تكن قد رأته ، فى حياتها كلها ..

ولكنها عرفته على الفور ..

كان يشبه تمامًا ذلك الوصف ، الذى تحفظه عن ظهر قلب ..

طويل ..

وسيم ..

قوى البنية ..

له نظرات دافئة متفحصة ..

إنه هو دون شك ..

الأسطورة ..

(أدهم صبرى) ..

شخصيًا ..

كان يقف خلف الصفوف ، ويبتسم لها ، وهو يقول فى هدوء :

- أهنئك ..

ووثب قلبها بين ضلوعها ، وانفغر فاها فى انبهار ..

أخيرًا رأته رأى العين ..

أخيرًا بلغت نهاية المطاف ..

ولكن لو أنها لاحظت تلك الابتسامة الغامضة ، التى تبادلها (أدهم صبرى) ، مع قائدها العقيد (أنور) ، لأدركت أن كل ما حدث لم يكن سوى البداية ..

بداية مهمة جديدة ..

تحت علم (مصر) ..

* * *

كل شيء كان معقدًا للغاية ..

كل شيء ..

كلمة السر المطلوبة، لاختراق نظام الأمن الصارم، فى بنك (انجلترا)، أكبر بنوك (أوربا) قاطبة، كانت تتكوّن من ثمانية رموز مشفّرة ..

والبرنامج الذى يعمل على حمايتها حديث ودقيق للغاية ..

يكفى أن ترتكب خطأ واحدًا ..

أى خطأ ..

وفى جزء من الثانية، سيدرك البرنامج الذكى أنها محاولة اختراق غير شرعية ..

وسيتخذ ردود الفعل المناسبة ..

سيضع فى البداية كلمة سر جديدة، من اثنى عشر

رمزًا، ثم يغلق برنامج الدخول إلى حسابات العملاء تمامًا ..

وبعدها سينطلق خلفك ..

وخلال ثانيتين فحسب، سيبلغ الموقع، الذى تحاول منه اختراق نظامه، وسينقل المعلومة إلى أقرب نقطة شرطة، أو إلى البوليس الدولى، تبعًا لموقعك أو منبتك، وفى الوقت ذاته سينطلق أحد فيروسات الكمبيوتر النشطة الحديثة إلى جهازك(*) ليدمر ذاكرته كلها فى لحظات ..

بلا رحمة أو هوادة ..

ولكن كل هذا لم يفزع (شريف نجيب) .. خبير الكمبيوتر، فى القسم الفنى للمخابرات العامة المصرية ..

(*) فيروس الكمبيوتر: هو برنامج صغير الحجم، قوى التأثير، تقتصر مهمته على اختراق الذاكرة الأساسية للجهاز، أو أحد مكوناته الرئيسية، ومحو المعلومات الأساسية منه، أو تغييرها، بحيث يصاب جهاز الكمبيوتر بالارتباك، أو التلف، أو الجنون، وتوجد حاليًا قوانين رادعة، لمواجهة صناع هذه البرامج المدمرة، الذين كرسوا عبقريتهم - دون مبرر - للشر وحده.

وبهدوء عجيب ، وثقة بلا حدود ، راحت أصابعه تجرى على أزرار الكمبيوتر ..

كان عليه أولاً أن يوقف عمل برنامج الحماية ..

قبل حتى أن يخترق شفرة كلمة السر المعقّدة ..

ولم يكن هذا ممكنًا ، من الناحية المنطقية ..

إلا أن عقلية (شريف) لم تكن تعترف بالصعاب ..

أو بكلمة مستحيل !

لذا فقد تجاهل المدخل الرئيسى ، وراح يسعى للعثور على بوابة خلفية ، لاقتحام نظام الحماية الدفاعى(*) ..

ولم يكن هذا أيضًا بالأمر السهل .

ولكنه راح يعمل ..

(*) البوابة الخلفية : نظام يلجأ إليه فى العادة كل مبرمجى الكمبيوتر ، والشركات التى تعمل على ابتكار النظم الكبيرة ، حيث يضعون كلمة سر بسيطة ، تمكنهم من اختراق برنامجهم ، دون الولوج عبر المدخل المعتاد ، الذى تحميه فى كل الأحوال كلمة سر معقدة ، بحيث يصبح فى مقدورهم إجراء أية تغيرات ضرورية ، أو إعادة فتح البرنامج ، فى حالة إغلاقه ، أو حدوث خطأ كبير غير مقصود .

ويعمل ..

ويعمل ..

بمنتهى البراعة ..

والصبر ..

وبعد ما يقرب من الساعة ، نجح فى فتح البوابة الخلفية ..

واقتحم نظام الحماية الدفاعى ..

عندئذ فقط ، تنفس الصعداء ..

وانتقل إلى الخطوة التالية ..

إلى التعامل مباشرة مع كلمة السر الشفرية ، ذات الثمانية رموز ..

« الآن يبدأ التحدى الحقيقى .. »

انبعثت العبارة بصوت هادئ ، من خلف (شريف) ، فانعقد حاجباه فى تحد ، وهو يواصل عمله ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .

تابع الصوت الهادئ :

- تحييد نظام الحماية الدفاعي لايعني أن الطريق قد صار خاليًا ومفتوحًا ؛ فالشفرة ذات الثمانية رموز ستمنحك دقيقتين فحسب ، وبعدها ستعتبرك دخيلاً ، يجهز رموزها للغلبة ، وستهاجمك بصاروخ فيروسي خطير .

شعر (شريف) أن الوقت لايتناسب هذا على الإطلاق ، إلا أنه ، وعلى الرغم من كل مايمكن أن تنثه العبارة فى نفسه من توتر ، راح يواصل عمله فى هدوء واثق ، وهو يتجاوز أحد الرموز الثمانية ..

وثان ..

وثالث ..

ورابع ..

« بقيت أربعون ثانية فحسب .. »

انبعث الصوت مرة أخرى ، فى هدوء مستفز ، فعضّ (شريف) شفتيه ، فى محاولة لكتمان انفعالاته وقهرها ، وراح عرق بارد يتصبب على وجهه ، ويؤلم عينيه ، ودقات قلبه تنافس عقرب الثوانى ، فى سرعتها غير الطبيعية ..

وتجاوز الرمز الخامس ..

والسادس ..

« لديك عشر ثوان فحسب .. »

يالصاحب الصوت الهادئ من رجل !!

ألا يمكنه تقدير الموقف ؟!

ألا يدرك أنه بحاجة لكل ذرة من أعصابه وهدوئه ، فى هذه اللحظات الحرجة ؟!

ألا يمكنه أن يدرك هذا ؟!

« ثمانى ثوان .. »

انعقد حاجباه فى شدة ، ورفع يده اليسرى ، ينفض فيضًا من العرق عن جبينه ، ثم واصل عمله فى سرعة ..

وسقط الرمز السابع ..

وقال صاحب الصوت بنفس الهدوء :

- ست ثوان .. خمس .. أربع ..

وتعالت دقات قلب (شريف) ، وجرت أصابعه على أزرار الكمبيوتر أسرع ..

وأسرع ..

وأسرع ..

« ثانية واحدة .. »

وانهار الرمز الثامن والأخير ..

فى آخر جزء من أجزاء الثانية .

وبكل ما يعتمل فى نفسه من انفعالات جارفة ، أطلق (شريف) زفرة قوية ، من أعمق أعماق قلبه ، وهو يسترخى فى مقعده ، ويبتسم ، قائلاً :

ـ نجحت .. قل لى يا رجل : كم مليوناً من الجنيهات الاسترلينية ، ترغب فى تحويلها إلى حسابك .

قال صاحب الصوت الهادئ :

ـ ولا بنس واحد .. إنه مجرد تدريب .

هتف (شريف) فى حماس :

ـ بالتأكيد .. ولكن هل تعلم ما الذى يعنيه نجاحنا فى اختراق نظام كمبيوتر منيع كهذا ؟! إنه يعنى أن ..

أطلق هتافه ، وهو يدور بمقعده ، ليواجه صاحب الصوت الهادئ ، الذى قاطعه بابتسامة كبيرة ، قائلاً :

ـ يعنى أنك أفضل شخص يمكن اختياره ، فى ظل هذه الظروف ، ليعمل تحت العلم ..

اكتملت استدارة (شريف) ، فى اللحظة التى بلغ فيها (أدهم) هذا الجزء من عبارته ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، فى انبهار ذاهل ، و (أدهم) يكمل فى حزم :

ـ تحت علم (مصر) .

وخفق قلب (شريف) مرة أخرى ..

بمنتهى العنف .

* * *





اكتملت استدارة (شريف) ، فى اللحظة التى بلغ فيها (أدهم) هذا الجزء من عبارته ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، فى انبهار ذاهل ..

٤ـ الفريق ..

« ولكن لماذا ؟! » .

ألقى رئيس الجمهورية السؤال على مدير المخابرات العامة المصرية ، فى اهتمام بالغ ، وهو يعتدل فى مقعده ، متابعًا :

ـ لماذا اختيار (أدهم صبرى) بالذات ، للقيام بهذه المهمة ؟!

ابتسم مدير المخابرات ، وهو يشير بيده ، مجيبًا :

ـ لأن (أدهم) يشعر بالإرهاق الشديد .

بدت الدهشة فى عينى الرئيس ، وهو يقول :

ـ وهل المفترض أن يدفعك هذا لإسناد مهمة بالغة الخطورة كهذه إليه ؟!

أجاب مدير المخابرات :

ـ بالتأكيد .

ثم مال نحو الرئيس ، متابعًا :

ـ على الرغم من أن إصابات العميد (أدهم) ، فى هذه العملية ، تفوق كل إصاباته السابقة ، إلى الحد الذى يحتاج معه إلى راحة طويلة ، لاسترداد حيويته ونشاطه وقدراته ، إلا أن كل هذا ليس السبب الفعلى لشعوره الشديد بالإرهاق هذا .. الواقع أن مواصلة العمل ، على النحو نفسه ، مع شعوره بالإحباط ، لفقد ابنه ، واختفاء زوجته السابقة به ، هما السبب الرئيسى لكل ما يعانيه .. فطوال السنوات الماضية ، كان (أدهم) يعمل بأسلوب خاص متفرِّد ، لا ينافسه فيه أى رجل مخابرات آخر ، فى العالم أجمع .. أسلوب هو أقرب إلى حياته السابقة كضابط فى قوات الصاعقة ، منه إلى طبيعة مهنته الحالية ، كضابط مخابرات ، على درجة عالية من الكفاءة ، ولقد رضينا كلنا بأسلوبه هذا ، الذى يخالف كل ما ألفناه وتدربنا عليه ، ورضينا أكثر بعمله الدائم بأوراق مكشوفة ، وبشهرته العالمية ، على الرغم من أن طبيعة عملنا ومهنتنا تحتم الالتزام بالسرية والكتمان ، لأن النتائج التى

يحققها كانت مبهرة ، والانتصارات الساحقة ، التى بهرت كل أجهزة المخابرات ، من الشرق إلى الغرب ، كان لها أبلغ الأثر ، فى وضع مخابراتنا على قمة أجهزة المخابرات فى العالم .

والتقط نفسًا عميقًا ، فى محاولة لتخفيف حماسه وانفعاله ، وهو يتراجع فى مقعده ، مكملاً :

ـ ولأن (أدهم صبرى) هو حالة خاصة جدًا ، لا مثيل لها ، بين كل رجال المخابرات ، فقد بدأ تدريباته على يد والده (رحمه الله) ، وهو بعد فى الثالثة من عمره(*) ، ومنذ ذلك الحين ، لم يهدأ لحظة واحدة ، ولم يتوقف عن الدخول فى صراعات متتالية ، والقيام بمهمات وعمليات عنيفة للغاية .. أليس من الطبيعى أن يصاب بالإرهاق الشديد ، بعد كل هذا ؟!

تعقد حاجبا الرئيس ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إنك لم تجب سؤالى بعد .

ابتسم مدير المخابرات ، قائلاً :

(*) راجع قصة (ملاكة الجحيم) .. المغامرة رقم (٦١) .

- معذرة ياسيادة الرئيس ، ولكن ما أردت أن أقوله هو أن ما يحتاج إليه (أدهم) بالفعل ، هو التغيير .

بدا الاهتمام الشديد على وجه الرئيس ، وهو يردد :

- التغيير ؟!

أشار مدير المخابرات بسبابته ، قائلاً :

- نعم ياسيادة الرئيس .. التغيير .. فالملازم أول (أدهم صبري) ، الذي أوقف وحده كتيبة دبابات كاملة ، ومنع الإمدادات الإسرائيلية من بلوغ خط (بارليف) ، يومي الثامن والتاسع من أكتوبر ، عام ١٩٧٣(*) ، يحتاج ، بعد سنوات من القتال العنيف ، الذي جعله أصغر من يحمل رتبة (عقيد) ، في (مصر) كلها ، إلى استعادة كل ما تدرَّب عليه ، على يد والده ، وعلى يد خبراء الجهاز .. يحتاج إلى نسيان رجل الصاعقة ، وتذكُّر رجل المخابرات .

وعاد يميل نحو الرئيس ، وهو يشير إلى رأسه ، متابعًا :

(*) راجع قصة (عملية عنق الزجاجة) .. سلسلة الأعداد الخاصة .. رقم (١١) .

- يحتاج إلى إراحة جسده ، وتعمل بعقله وحده .

انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يفكِّر في الأمر باهتمام شديد ، قبل أن يقول :

- وهو أهل لهذا .. أليس كذلك ؟!

ابتسم المدير ، واعتدل ، مجيبًا :

- أكثر مما يمكن أن تتصوَّر ياسيادة الرئيس .

وصمت لحظة ، ليضيف في حزم :

- وهي فرصة مثالية ، ليثبت كفاءته ، في هذا المضمار .

أومأ الرئيس برأسه ، وقال :

- أنا واثق من أنه أهل لها .

غمغم مدير المخابرات :

- بالتأكيد ياسيادة الرئيس .. بالتأكيد .

أومأ الرئيس برأسه مرة أخرى ، قبل أن يسأل في اهتمام :

- وهل اختار بالفعل مجموعة العمل ، أم أنه لم يفعل بعد .

ابتسم مدير المخابرات ، قائلاً :

- لست أظنه سيفعل أبداً يا سيادة الرئيس .

اعتدل الرئيس فى مقعده بحركة حادة ، هاتفاً فى دهشة مستنكرة :

- ماذا ؟!

أجاب مدير المخابرات فى سرعة :

- كما سبق أن قلنا ياسيادة الرئيس .. العميد (أدهم صبرى) حالة خاصة تماماً ، وعملياته السابقة كلها عوّدته على العمل منفرداً ، وعندما نطلب منه قيادة فريق جديد هذه المرة ، فلا ينبغى أن نكسر تميمة حظه التقليدية ، ونطلب منه العمل ضمن مجموعة تقليدية .

ثم تنهد فى عمق ، مضيفاً فى حزم :

- صدقنى ياسيادة الرئيس .. إننا نواجه (المافيا) الروسية بأفضل مالدينا .. كماً وكيفاً .

صمت رئيس الجمهورية بضع لحظات مفكراً ، ثم لم يلبث أن هز رأسه ، وقال فى حزم :

- على بركة الله ..

وكانت البداية ..

* * *

جرت أصابع (ميرا بتروفا) على أزرار الكمبيوتر ، فى سرعة وبراعة ، وعيناها تتابعان الأرقام المتراصة على الشاشة ، لعشر دقائق متواصلة ، قبل أن تتراجع فى مقعدها ، وتشير إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلة :

- لقد تم تحويل المبلغ بالكامل ، إلى ذلك الحساب السرى ، فى بنك (إنجلترا) ، باسم (جون جريشام) .

تألقت عينا (إيفانوفيتش) ، وهو يسألها :

- ثلاثمائة مليون دولار ؟!

أومأت برأسها إيجاباً ، وقالت بنفس البرود التقليدى :

- بالتمام والكمال .

تضاعف تألق عينيه ، وهو يتمتم :

- عظيم ..

وصمت بضع لحظات ، وهو يراقب الشاشة فى نشوة ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً بلهجة آمرة :

- أبلغى (جريجورى) ، ليبدأ فى تجهيز الصفقة .

سألته ، وهى ترفع أصابعها مرة أخرى إلى الكمبيوتر :

- ألديه فكرة كاملة عن التفاصيل ؟!

أجابها فى حزم :

- بالتأكيد .

جرت أصابعها على أزرار الكمبيوتر ، وتابعها هو ببصره بضع لحظات ، قبل أن يعتدل ، قائلاً فى صرامة :

- أخبريه أن هذه الصفقة ستحمل بصمتنا الخاصة .

توقفت عن العمل بغتة ، واستدارت إليه بنظرة باردة ، فابتسم ، وعاد يتراجع فى مقعده ، متابعًا :

- هذا هو الغرض الحقيقى ، من العملية كلها .

ظلت تتطلع إليه لحظة فى صمت ، قبل أن تعاود عملها ، متسائلة :

- هل تعتقد أنهم يبتلعون الطعم ؟!

أجاب فى هدوء :

- بالتأكيد .

قالت :

- إنهم أذكياء للغاية .

ابتسم فى صمت بضع لحظات ، ثم قال :

- الأذكياء فقط من يبتلعون الطعم دائمًا .

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يضيف :

- إذا ما تم تقديمه إليهم بأسلوب مناسب .

قالها ، واتسعت ابتسامته بمنتهى الزهو .. ومنتهى الثقة ..

* * *

من المؤكد أن الشبان الثلاثة ، (علاء) و (ريهام) و (شريف) ، لم يشعروا فى حياتهم كلها بذلك القدر من الانفعال والإثارة ، اللذين شعروا بهما ، وهم يجلسون داخل تلك القاعة الصغيرة ، فى أحد الأماكن التابعة للمخابرات العامة ، فى مدينة (الإسكندرية) ..

كان ثلاثتهم يحملون ، في تلك اللحظة ، بطاقة هوية خاصة ، من المخابرات العامة ..

وكان هذا أقصى أحلامهم وطموحاتهم ، منذ وعت عقولهم الشابة الدنيا ..

وهذا ما كافحوا لبلوغه طويلاً ..

ولكن حتى هذا لم يكن السبب الرئيسي للانفعال والإثارة ..

بل كان هناك سبب أكثر قوة ..

سبب ترتجف له قلوبهم في صدورهم ، وتشتعل به كل ذرة في كيانهم ، وكل خلية في أجسادهم ..

وهذا السبب هو أنهم سيلتقون به ..

بـ (أدهم صبري) ..

رجل المستحيل ..

الرجل الذي سمعوا عنه الكثير ..

وترسموا أكثر ..

وانبهروا به أكثر وأكثر ..

الرجل ، الذي يحمل في ذلك العالم ، الذي حلموا به منذ حداثتهم ، لقباً مبهراً ..

الأسطورة ..

الشيء الوحيد ، الذي كان يؤرق مضجعهم ، في تلك اللحظات ، هو أنهم لم يجتمعوا في مبنى المخابرات العامة ..

المبنى ، الذي تمنوا دائماً الانتماء له ..

أو حتى عبور بوابته ..

فمنذ تم ترشيحهم لتلك الدورة التدريبية الخاصة ، التابعة للمخابرات العامة ، وكل منهم يحلم بالانضمام إلى ذلك الكيان ، والانغماس في ذلك العالم السري الغامض ..

والمدهش أن كلاً منهم كان ينتمي إلى عالم مختلف تماماً ..

النقيب (علاء فريد) ، ضابط صاعقة ، تلقَّى عدة دورات مكثفة ، حول فن القتال والاشتباك ، واستخدام الأسلحة المختلفة ، والقفز بالمظلات ، وحتى قيادة الطائرات الهليكوبتر ..

والملازم أول (ريهام صادق) ، خريجة أكاديمية الشرطة ، والمتخصصة في مكافحة الإرهاب ، والتعامل مع المفرقعات والمتفجرات بأنواعها ..

وأخيرًا المهندس (شريف نجيب) ، مدني ، ليست له أية خبرات سابقة في الحروب أو المواجهات العسكرية ، ولكنه خبير كمبيوتر وإليكترونيات ، لا يشقّ له غبار ..

هؤلاء الثلاثة كانوا أفراد الفريق الجديد ..

أوّل فريق ، ينتخبه ويقوده الرجل وحده ..

رجل المستحيل ..

« مرحبًا .. »

نطق (أدهم) الكلمة في هدوء ، وهو يدلف إلى القاعة الصغيرة ، فسرت في أجساد ثلاثتهم ارتجافة قوية ، وتعلّقت عيونهم به في انبهار ، وهو يعبر المكان ، ويتجه نحو مقعده ، على رأس المائدة ، ونهضوا في احترام ، حتى استقرّ هو ، وابتسم ، قائلاً بنفس الهدوء المهذّب :

ـ تفضّلوا بالجلوس .

وتعلّقت عيونهم به أكثر وأكثر ..

وخفقت قلوبهم في قوة ..

هل يمكن أن يكون هذا الوسيم الهادئ المهذّب ، هو الرجل نفسه ، الذي قهر أقوى وأعظم أجهزة المخابرات ، والمنظمات الإجرامية ، في العالم أجمع ؟!

أمن الممكن أن يكون هو نفسه ، ذلك المارد ، الذي ترتجف قلوب الأعداء ، لمجرّد ذكر اسمه ؟!

ومرة أخرى ، تطلّعوا إليه في انبهار ، وهالهم ذلك الشحوب ، الذي يكسو ملامحه ، والذي يوحي بإجهاد عنيف ، وإرهاق لا حدود له ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ هل يضايقكم ألا نجتمع في مبنى المخابرات ؟!

أراد (علاء) و (شريف) أن ينكرا هذا ، إلا أن (ريهام) اندفعت ، قائلة في جرأة وثقة :

ـ نعم .

اتسعت ابتسامة (أدهم) ، وهو يقول :

- كان هذا أمرًا حتميًا ؛ فالمهمة التى ستقومون بها ، بإذن الله (سبحانه وتعالى) ، مهمة بالغة الخطورة والحساسية ، حتى إنه من الأفضل أن نؤمّن لكم أقصى درجات السرية ، فكلكم عناصر جديدة ، لم يسبق لها العمل فى المخابرات العامة قط ، وهذا يعنى أنه لايوجد لكم أية ملفات حتمًا ، لدى أى جهاز مخابرات معادٍ ، أو حتى صديق ، وإبعادكم عن مبنى المخابرات المعروف ، فى هذه المرحلة من المهمة ، يضمن استمرار هذا الأمر ، والحفاظ عليه ، حتى نهاية المهمة .

تبادلوا نظرة صامتة ، ثم تنحنح (علاء) ، وقال :

- نحن رهن إشارتك ياسيادة العميد .

تراجع (أدهم) فى مقعده ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

- لقد راجعت ملفاتكم كلها ، واخترت كلاً منكم بعد بحث دقيق ، واختبارات قاسية ، حتى أضمن استطاعتكم القيام بمهمة كهذه ، وقدرتكم على العمل فى أشق وأصعب الظروف ، وأعتقد أنكم أفضل فريق ، يمكننى العمل معه ، فى مهمة كهذه .

خفقت قلوبهم مرة أخرى فى سعادة ، وهتف (شريف) :

- هذا منتهى الفخر لنا ياسيادة العميد .

قال (أدهم) فى هدوء حازم :

- عظيم .. دعونا نتلقى الدرس الأول إذن ، ففى عالم المخابرات لايصح أن نتخاطب بالرتب ؛ حتى لانعتاد هذا ، أو تألفه ألسنتنا ، مما قد يفسد عملية بأكملها ، بسبب زلة لسان ، لذا فالكل هنا يحمل لقبًا واحدًا .. لقب (السيِّد) .

أومئوا برءوسهم متفهمين ، فأشار بيده إشارة خاصة ، انطفأت بعدها أضواء القاعة الصغيرة تمامًا ، وأضيئت شاشة عرض كبيرة ، استدار هو بمقعده إليها ، قائلاً :

- كل ماسترونه هنا ، داخل هذه القاعة ، هو أمور ومعلومات بالغة السرية تمامًا ، حتى إنه لاينبغى

التحدث عنها أبداً، مع أي مخلوق كان، حتى ولو كان أحد رجال المخابرات.. بل ولن أبالغ لو قلت: إنه من الأفضل ألا تتحدثوا عنها فيما بينكم، إلا للضرورة القصوى.

بدأ العرض بصور لأماكن متعددة، ومواقف عنيفة، و (أدهم) يواصل:

- ما ترونه الآن هو الهدف، أو العدو، الذي عليكم مواجهته، في مهمتكم القادمة.. وهو ليس بالعدو السهل أو الرحيم كما ترون، بل هو عدو شديد القوة والتنظيم.. قاس لا يرحم.. عنيف لا يشفق.. قاس لا يبقي ولا يذر.. إنكم ستواجهون أشرس تنظيم في السنوات الخمس الأخيرة.. منظمة (المافيا) الروسية.

اتسعت عينا (ريهام) عن آخرهما، وانطلقت من حلق (شريف) شهقة مكتومة، في حين غمغم (علاء) في حزم:

- عظيم.

ابتسم (أدهم)، وهو يكمل، مع تتابع الصور على الشاشة:

- وأخطر ما في (المافيا) الروسية، هو شدة تنظيمها، واتساع شبكة معلوماتها، وسيطرتها شبه التامة على النظام الحكومي والأمني في البلاد تقريباً، وقدرتها على اختراق كل الحدود الممكنة، وبلوغ خصومها، حتى ولو كانوا في قلب الأرض.. ولأن شبكة المعلومات متسعة متكاملة، فهم أشبه بجهاز مخابرات قوي، خاصة وأن بعضهم كان يعمل بالفعل في جهاز المخابرات السوفيتي (كي. جي. بي)، ويمتلك معظم المعلومات، التي كانت تحويها ملفات الجهاز، الذي تم تصفيته، قبل سقوط الاتحاد السوفيتي مباشرة، باعتباره ثاني أقوى جهاز مخابرات، في العالم أجمع[*].

تغيرت الصورة، ليظهر وجه (إيفانوفيتش) على الشاشة، فاعتدل (أدهم)، قائلاً في حزم:

- (إيفان إيفانوفيتش)، الأب الروحي لمنظمة (المافيا) الروسية، وواحد من أخطر رجال المخابرات السوفيتية سابقاً، يمتاز بذكاء حاد، وقدرة مدهشة

(*) حقيقة.



تغيرت الصورة ، ليظهر وجه (إيفانوفيتش) على الشاشة ، فاعتدل (أدهم) ، قائلاً في حزم : ـ (إيفان إيفانوفيتش) ، الأب الروحي لمنظمة (المافيا) الروسية ..

على سير أغوار الآخرين ، بحكم خبرته ، وتجاربه العتيقة السابقة ، و ....

راح يواصل حديثه ، ويستعرض معهم كل المعلومات الممكنة ، عن منظمة (المافيا) الروسية ، ورجالها ، وتنظيمها ، وعملياتها ، واتصالاتها ، وهم يستمعون إليه بمنتهى الاهتمام والتركيز ..

واستغرق الأمر ساعة ..

ساعة كاملة ، لم يقاطع أحدهم (أدهم) ، إلا ليلقى سؤالاً أو استفساراً ، قبل أن يواصل هو شرحه وتوضيحه للأمور مرة أخرى ..

وبعد انتهاء العرض ، أتت المشروبات الدافئة ، وراح الكل يحتسيها ، و (أدهم) يجيب المزيد من أسئلتهم واستفساراتهم ، حتى تنحنح (شريف) ، متسائلاً :

ـ ولكن ما المفترض أن يفعله ثلاثتنا ، في مواجهة منظمة قوية كهذه يا سيادة العميد .. احم .. أقصد يا سيد (أدهم) ؟!

تطلع إليه (أدهم) لحظة فى صمت ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ أن ننسفها نسفاً .

ابتسمت (ريهام) فى حماس ، وانعقد حاجبا (علاء) فى شدة ، فى حين هتف (شريف) ، فى دهشة مستنكرة :

ـ نحن ؟!

أشار (أدهم) بسبابته ، قائلاً :

ـ هنا يأتى دور الدرس الثانى فى عالم المخابرات .. لايوجد أى نظام أمنى منيع مائة فى المائة ، ولا توجد قوة على الأرض لايمكن قهرها .. كل ما فى الأمر هو أنه هناك جدران عالية ضخمة ، تملأ قلوبنا خوفاً ورهبة ، ولكن لو أننا تسلقنا الخوف والرهبة فى أعماقنا ، ونظرنا إلى الأمور نظرة شاملة أكثر دقة ، فسندرك أن تلك الجدران تحوى ثقوباً كبيرة ، يمكننا أن ننفذ عبرها فى أمان .

قال (علاء) فى اهتمام :

ـ ولكن هذا يحتاج إلى وقت طويل حتماً .

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ وليس لدينا هذا الوقت للأسف .

ثم اعتدل فى مقعده ، وتابع :

ـ المشكلة أن (المافيا) الروسية قد أصابها الغرور ، فى الآونة الأخيرة ، وتصورت ، مع كثرة انتصاراتها ، وضخامة صفقاتها ، أنها قد أمسكت مقادير العالم فى قبضتها ، وصار بإمكانها تحريك الأمور كما يحلو لها ، ومع تورطها فى تجارة الأسلحة ، أصبحت المورد الأول لكل النظم الإرهابية والاستعمارية ، فى كل أنحاء العالم ، مما دفعها إلى أن تعقد صفقة أسلحة كبرى ، مع ثلاث منظمات إرهابية فى آن واحد ، تسعى للقيام بضربة كبرى عنيفة ، داخل الحدود المصرية .

هتف (علاء) فى غضب :

ـ حدودنا ؟!

أومأ (أدهم) برأسه فى هدوء ، قائلاً :

ـ نعم .. حدودنا .

ثم مال نحو الثلاثة ، مضيفاً :

- وحتى نمنعهم من تجاوز حدودنا ، ينبغى أن نذهب إليهم ، ونضربهم بمنتهى العنف .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى صرامة :

- داخل حدودهم .

فرقعت (ريهام) وسطاها وإبهامها ، قائلة فى حماس :

- بالضبط .

هزّ (شريف) رأسه ، قائلاً :

- ولكن طبقًا لمعلوماتى المحدودة فى الدبلوماسية ، فمن الممكن أن يؤدى عملنا ، داخل الحدود الروسية ، إلى أزمة سياسية عنيفة ، بين (مصر) و (روسيا) .

أجاب (أدهم) فى سرعة :

- هذا لو عملنا بهوية مصرية .

سألته (ريهام) فى اهتمام :

- بأية هوية سنعمل إذن ؟!

ترقصت على شفتيه ابتسامة غامضة عابثة ، وهو يقول :

- خمنى .

تطلّع إليه (شريف) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم واثق :

- إسرائيلية .

ابتسم (أدهم) فى إعجاب ، قائلاً ، وهو يشير إليه بسبابته :

- ليس بالضبط .

سألته (ريهام) فى لهفة :

- ماذا تعنى بكلمة (ليس بالضبط) ياسيّد (أدهم) ؟!

أجابها فى هدوء ، وابتسامته الغامضة تملأ شفتيه :

أعنى أنكم ستحملون ثلاثة أسماء يهودية ، فى مجتمع يعدُّ الأول ، فى نسبة من يهاجر منه إلى (إسرائيل) سنويًا .

سأله (علاء) فى حذر :

- أى مجتمع هذا ؟!

أجابه فى حزم :

- (الأرجنتين) (*) .

هتف في دهشة :

- تعني أننا سنسافر إلى (الأرجنتين) ؟!

ألقى نظرة على ساعته ، مجيباً :

- بعد ثلاثة أيام وتسع ساعات ، وأربعين دقيقة بالتحديد .

تبادل ثلاثتهم نظرة متوترة ، سرعان ما ترجمها (شريف) إلى سؤال محدود ، وهو يقول :

- وماذا سنفعل في (الأرجنتين) ، والمفترض أننا سنقاتل (المافيا) الروسية ؟!

تضاعف غموض ابتسامة (أدهم) ، وهو يشير بسبابته ، قائلاً :

- هذا هو أهم جزء ، في العملية كلها .

ثم نهض من مقعده ، وبدأ يتحرك في الحجرة ، وهو يقول :

- منذ أسند إليّ تدبير هذه المهمة ، رحت أفكر

(*) حقيقة .

في تلك الثغرة ، التي تحدثنا عنها .. الثغرة في الأسوار الهائلة المنيعة ، التي تحيط بمنظمة (المافيا) الروسية ، والتي ينبغي أن نعثر عليها ، حتى يمكننا اختراق المنظمة ، وتحطيمها من الداخل .. ولقد بدا لي الأمر في البداية مستحيلاً ؛ لأن (إيفانوفيتش) الشهير رجل حذر للغاية ، يشك ، كما تقول الأمثال العامية ، في أصابع يده ، ولديه منظمة قوية محكمة ، ودائرة معلومات ضخمة ، ومن المستحيل أن يضم أية عناصر جديدة ، إلا بعد أن يتيقن من أنه سيفيد منها أقصى إفادة ممكنة ، وبعد أن يقتل حياتهم بحثاً ، مما يضاعف من احتمالات انكشاف أمرهم .

تساءلت (ريهام) في حيرة قلقة :

- وكيف يمكن اختراق تنظيم محكم كهذا ؟! وفي وقت بهذا القصر ؟!

هز رأسه ، مجيباً في هدوء :

- لا توجد أية وسيلة منطقية .

بدت عليهم دهشة عارمة ، فمال نحوهم مرة أخرى ، مكملاً :

- باستثناء وسيلة واحدة .

هتف (شريف) فى لهفة :

- كيف ؟!

اعتدل (أدهم) ، وعاد يتحرك فى الحجرة ، قائلاً :

- كيف يمكنك أن تخترق تنظيما ، أحاط نفسه بسياج قوى ، يستحيل اختراقه ، ويتميز بشك عنيف ، حتى إنه لن يثق قط فى أى شخص يسعى إليه ؟!

سأله (علاء) بمنتهى الاهتمام :

- كيف ؟!

توقف (أدهم) ، ورفع سبابته أمام وجهه الشاحب ، مجيبا :

- بأن تجعله هو يسعى إليك .

هتفت (ريهام) هذه المرة :

- وكيف يمكن أن يسعى تنظيم كهذا إلينا ؟!

صمت (أدهم) لحظة ، ثم قال فى حزم :

- ثلاثتكم تلقيتم تدريبا فى القسم (٣ ج ١) ، وهذا

يعنى أنكم تستطيعون العيش والتصرف ، كما لو كنتم من اليهود المتعصبين ، كما أن كلاً منكم يجيد الإسبانية ، طبقا لتقارير دورة تعلم اللغات الحية .

سأله (شريف) فى قلق :

- وكيف يمكن أن يدفع هذا منظمة (المافيا) الروسية ، إلى البحث عنا ، والسعى إلينا ؟!

أشار (أدهم) إليه ، قائلاً :

- أنت لديك الجواب على هذا .

هتف بدهشة ، شاركه إياها الجميع :

- أنا ؟!

أجابه (أدهم) ، بنفس الابتسامة الغامضة :

- نعم .. أنت .

وتضاعفت دهشة وحيرة الثلاثة ..

فقد كانت ابتسامة أشد غموضا ..

بألف مرة .

* * *

٥ ـ الستار الحديدى ..

توقفت سيارة فاخرة ، أمام بوابة قصر (يفانوفيتش) المنيف ، فى ضواحى (موسكو) ، وبرز من نافذتها وجه مكتنز لرجل أشقر ، غليظ الملامح ، أشار بيده فى خشونة ، قائلاً :

ـ لدى موعد لمقابلة الزعيم .

وضع رجال الحراسة أيديهم على مقابض مسدساتهم الآلية ، وقائدهم يسأل فى صرامة جافة :

ـ هل تحمل أية أسلحة ؟!

هتف الأشقر فى خشونة :

ـ بالطبع .. هل نسيتم من أنا ؟!

أجابه قائد الحراسة بنفس الصرامة :

ـ بل أنت من نسى إجراءات الأمن الأساسية يا (جريجورى) .

مط الأشقر شفتيه ، قائلاً :

ـ يا للسخافة !

ثم غادر السيارة ، ورفع ذراعيه فى ضجر ، قائلاً :

ـ هيا .. قوموا بعملكم .

استلّ حارسان مسدسيهما ، وصوّبا فوهتيهما نحو (جريجورى) ، الذى مط شفتيه مرة أخرى ، مغمغماً :

ـ يا للسخافة !

وفى الوقت ذاته ، اتجه قائد الحراسة نحوه ، وراح يفحص ملامحه وجسده فى غلظة ، ثم انهمك فى فحص السيارة ، وذلك المدفع الآلى الإليكترونى الحديث ، فى حقيبتها الخلفية ، والتيقن من أن خزانته خاوية من الرصاصات تماماً ، فهتف (جريجورى) محنقاً :

ـ كم سيستغرق هذا السخف ؟!

أجابه قائد الحراسة فى برود :

ـ دقيقة وأربعون ثانية ، مثل كل مرة يا (جريجورى) .

هتف (جريجورى) فى سخط :

- لن يمكنني هضم هذا أبدًا .

ألقى قائد الحراسة نظرة ساخرة ، على كرش (جريجوري) الضخم ، قبل أن يقول :

- عجبًا ! كنت أظن أن معدتك قادرة على هضم كل شيء .

قال (جريجوري) في حدة :

- دعابة سخيفة .

ابتسم الرجل ، وواصل عمله لبضع ثوان أخرى ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

- هيا يمكنك العبور .

خفض (جريجوري) ذراعيه ، قائلاً في عصبية :

- لماذا ؟! ألن تفحصوا جسدي بالأشعة ؟!

ضحك قائد الحراسة ، قائلاً :

- ربما في المرة القادمة .

حشر (جريجوري) نفسه داخل سيارته ، وانطلق بها يعبر البوابة ، ويقطع حديقة القصر الهائلة ، في

حين التقط قائد الحراسة سماعة جهاز اتصال محدود ، وقال :

- (جريجوري أندرويوف) عبر البوابة الرئيسية ، في العاشرة وست دقائق واثنتي عشرة ثانية .

أجابه صوت حازم :

- نحن نتابعه على شاشات الرصد .

وفي سخط شديد ، عبر (جريجوري) الضيعة كلها بسيارته ، قبل أن يتوقف أمام القصر نفسه ، حيث استقبله حارس ضخم ، حمل ذلك المدفع الآلي الإليكتروني بنفسه ، وهو يقوده داخل القصر ، حتى بلغا حجرة مكتب (إيفانوفيتش) ، وهناك استقبلته (سيرا) ببرودها التقليدي ، قائلة :

- مرحبًا يا (جريجوري) .. اجلس على ذلك المقعد هناك .. الزعيم سيصل بعد قليل .

ناوله الحارس ذلك المدفع ، فحمله إلى المقعد الذي أشارت إليه ، وجلس فوقه مفرود الظهر ، كطالب يستعد لمقابلة ناظر مدرسته ، في حين اتجهت هي إلى الكمبيوتر ، وراحت تعمل في صمت ..

وطوال ثلاث دقائق كاملة ، لم ينبس أحدهما ببنت شفة ، ولم يبدل (جريجوري) وضعه ، أو يطرف له جفن ، حتى تلتفت (إيفانوفيتش) إلى الحجرة ، قائلاً بابتسامة هادئة :

ـ معذرة لتأخري .

نهض الاثنان على الفور في احترام ، وارتبك (جريجوري) ، وهو يقول :

ـ لا .. لا عليك أيها الزعيم .

واستقر (إيفانوفيتش) خلف مكتبه ، وأشار لهما بالجلوس ، فعاودت (ميرا) عنقها ، في حين مدّ (جريجوري) يده بالمدفع الآلي الإلكتروني ، قائلاً :

ـ ها هو ذا السلاح أيها الزعيم .. لقد أدخلنا التعديلات التي طلبتها .

التقط (إيفانوفيتش) السلاح ، وراح يفحصه في اهتمام وإعجاب ، مغمغماً :

ـ عظيم .. أحدث تكنولوجيا في عالم الأسلحة .. من المؤكد أن أحداً لم يستخدمه من قبل .

قال (جريجوري) في توتر :

ـ معذرة أيها الزعيم ، لقد أجرينا عليه بعض الاختبارات والتجارب ، و ....

قاطعه (إيفانوفيتش) في هدوء :

ـ أعلم يا (جريجوري) .. أعلم .

ثم مال إلى الأمام ، مستطرداً :

ـ قل لي : بعد التعديلات الجديدة ، هل أصبح لنا التحكُّم الكامل ؟!

أومأ (جريجوري) برأسه ، قائلاً :

ـ بكل تأكيد يا سيِّدي .

تألقت عينا (إيفانوفيتش) ، وهو يتراجع في مقعده ، قائلاً :

ـ عظيم .

ألقت (ميرا) نظرة صامتة عليه ، وهي تتساءل في أعماقها عما يخطِّط له بالضبط ..

فعلى الرغم من كونها حارسته الخاصة ، وسكرتيرته

الأولى ، إلا أنه قلما يخبرها ما يدور فى ذهنه ، أو يعتمل فى أعماقه ..

طبعه ، وخبرات عمله السابق ، جعلاه شخصًا صموتًا كتومًا ، من المستحيل أن تسبر أغواره ، أو تكتشف مكنونات نفسه .

ولكن هذا لم يكن يعنيها ..

المهم أنها إلى جواره صارت أقوى ، وأكثر ثراءً ..

وفى برود كامل ، عادت تواصل عملها ، وهو يسأل (جريجورى) :

ـ من أضاف تلك التعديلات .

ازدرد الأشقر لعابه ، مجيبًا :

ـ (يورى بالتيمسكى) .. كما أمرت أيها الزعيم ..

أومأ (إيفانوفيتش) برأسه مرة أخرى ، وقال :

ـ عظيم ..

ثم مال إلى الأمام ، وهمّ بإضافة شىء ما ، عندما انتفض جسد (ميرا) فجأة ، فانعقد حاجباه فى دهشة ،

وهو يلتفت إليها متسائلاً ، فاستدارت إليه بحركة حادة ، لا تتفق مع برودها الأسطورى ، وهى تقول :

ـ رصيدنا فى بنك (انجلترا) انخفض .

اعتدل بحركة أكثر حدة وعنفًا ، هاتفًا :

ـ انخفض ؟!

أجابته فى توتر :

ـ نعم .. لقد فقدنا عشرة ملايين دولار دفعة واحدة .

انعقد حاجباه فى شدة ، على نحو جعله أشبه بالشيطان ، وهو يهتف غاضبًا ، ثائرًا ، مستنكرًا :

ـ مستحيل !

انتفض جسد (جريجورى) ذعرًا ، وتراجع فى سرعة إلى مقعده ، وانكمش فيه مذعورًا ، فقالت (ميرا) ، وقد غلب برودها توترها :

ـ بعضهم اخترق حسابنا ، وقام بتحويل عشرة ملايين دولار دفعة واحدة إلى أحد بنوك (سانتياجو) فى (تشيلى) .

ازداد انعقاد حاجبى (إيفانوفيتش) فى شدة ، وبلغ غضبه ذروته ، وهو يقول :

ـ بنك (انجلترا) هو أكثر بنوك العالم مناعة، واختراق حساباته أمر شبه مستحيل!

التقى حاجباها بدورها، وهي تقول:

ـ يبدو أن أحدهم قد حطَّم هذا المستحيل.

خُيِّل لـ (جريجوري) أن وجه (إيفانوفيتش) قد تحوَّل إلى جمرة من اللهب، تكاد تنفجر من شدة الغضب والثورة، فنهض من مقعده مرتجفًا، وتنحنح، قائلاً:

ـ اسمح لي أيها الزعيم أن ...

استدار إليه (إيفانوفيتش) في حركة حادة عنيفة، وقاطعه في شراسة:

ـ أما زلت هنا.

ارتجف (جريجوري)، هاتفًا:

ـ كنت أطلب الإذن بالانصراف.

صرخ فيه:

ـ هيا.. اذهب.

فاندفع الرجل يعدو خارجًا، وهو يرتجف كريشة في مهب الريح، في حين عاد (إيفانوفيتش) يلتفت إلى (ميرا)، قائلاً في غضب هادر:

ـ من فعلها ؟!

جرت أصابعها على أزرار الكمبيوتر في سرعة، قبل أن تجيب:

ـ المبلغ تم سحبه بالفعل، من ذلك البنك في (سنتياجو)، بتوقيع (جون كوك)، الذي أصرَّ على استلامه نقدًا، بأوراق من فئة مائة دولار.

اشتعلت نيران الغضب، في قلب وملامح (إيفانوفيتش) أكثر وأكثر، وازداد انعقاد حاجبيه الكثين، على نحو جعله أشبه بالراهب (راسبوتين) بالفعل، وهو يقول بكل صرامة وثورة الدنيا:

ـ الحقيقة يا (ميرا).. أريد الحقيقة كاملة.. أريد (جون كوك) هذا بأي ثمن.. هل تفهمين يا (ميرا) ؟!

واحتقن وجهه، حتى كادت الدماء تنفجر منه، وهو يطلق صرخة هادرة، للمرة الأولى في حياته، مكررًا:



واحتقن وجهه، حتى كادت الدماء تنفجر منه، وهو يطلق صرخة هادرة، للمرة الأولى في حياته..

- بأي ثمن.

وارتفع حاجبا (ميرا) بدهشة لامحدودة..

فقد كانت أول مرة تراه فيها بهذه الثورة..

أول مرة على الإطلاق..

* * *

« ما الذي نتوقعه بالضبط ؟! »

ألقى مدير المخابرات السؤال على (أدهم)، في اهتمام بالغ، قبل أن يميل إلى الأمام، متابعًا في شيء من الشغف:

- هل تعتقد أن (إيلتوفيتش) سيرسل رجاله خلف فريقك ؟!

ارتسمت ابتسامة هادئة واثقة على شفتي (أدهم)، وهو يجيب:

- بكل تأكيد.. أمثاله لا يمكنهم قبول الهزيمة أبدًا، وأكثر ما يثير جنونهم أن ينجح شخص ما في خداعهم، ومن الطبيعي والحال هكذا أن يطلق كل كلابه خلف أبطالنا، بمنتهى الوحشية والشراسة، لينبشوا الأرض

نبشًا ، بحثًا عن أي أثر ، يمكن أن يقودهم إلى المسئول عن خداعه .

قال المدير في اهتمام :

ـ سيعرّضهم هذا لكثير من المخاطر .

صمت (أدهم) بضع لحظات ، قبل أن يهز رأسه نفيًا ، قائلاً :

ـ لست أعتقد هذا .

ثم نهض من مقعده ، وراح يتحرك في المكان ، ويتابع ، وكأنه يتحدث إلى نفسه :

ـ الهوية الزائفة ، التي صنعها (قدري) لتنقيب (علاء) ، كانت متقنة للغاية ، بدليل أن رجال البنك في (تشيلي) وجدوا أنها سليمة ، إلى الحد الذي يتيح لصاحبها صرف عشرة ملايين دولار نقدًا ، وهذا يعني أن رجال (المافيا) الروسية سيدورون حول أنفسهم كثيرًا ، في محاولة لالتقاط طرف الخيط ، خاصة وأن الفريق يقيم في (مندوسا) في (الأرجنتين) ، وليس في (سانتياجو) ، مما سيضاعف من غضب (إيفانوفيتش)

وجنونه ، وفي الوقت ذاته سيستفز عقله كرجل أعمال ، يدرك قيمة الكفاءة والذكاء في عالمه ، وسيصبح أكثر لهفة وشغفًا لمعرفة من خدعه ..

اعتدل المدير ، وهو يسأله :

ـ وماذا لو نجح رجاله في التقاط طرف خيط ما ؟! أعني أننا نعلم جميعًا أنه ما من تنظيم متبع مائة في المائة .

هزّ (أدهم) كتفيه ، وأجاب في هدوء :

ـ عندئذ تكون قد اختصرنا جولة كاملة .

نطقها ، وصمت بضع لحظات ، وكأنما غرق في تفكير عميق ، فسأله المدير :

ـ قل لي يا (ن ـ ١) : هل تروق لك مهمتك الجديدة هذه ؟!

واصل (أدهم) صمته لبضع لحظات أخرى ، قبل أن يلتفت إلى المدير ، مجيبًا بصوت هادئ ، حمل نبرة غريبة ، لا يمكن تمييزها بسهولة :

ـ إنه تنشيط ذهني مطلوب ، سيفيدني حتمًا ، علمًا

تجاوز هذه الأزمة الصحية ، ويستعيد جسدى حيويته ونشاطه ، وأبدأ مهمتى الخاصة :

ـ تطلع إليه المدير بشىء من التعاطف ، وهو يقول :

ـ أتقصد البحث عن ابنك ؟!

تنهد (أدهم) ، متمتماً :

ـ بالتأكيد .

ران عليهما صمت ثقيل ، بعد أن نطق كلمته هذه ، ثم لم يلبث المدير أن قطع هذا الصمت ، وهو يسأله :

ـ فيم تفكر ؟!

أجابه (أدهم) ، وعيناه توحيان بأن ذهنه يسبح بعيداً :

ـ فى فريقنا الصغير ، الذى يبدأ أول مهامه ، داخل حدود أجنبية ، بعد تدريبات استغرقت ثلاثة أيام فحسب ، وفى مواجهة أعنف منظمة إجرامية ، فى زمننا هذا .

سأله المدير :

ـ هل تشعر بالقلق عليهم ؟!

صمت (أدهم) لحظة ، ثم لم يلبث أن هز كتفيه ، مجيباً بابتسامة هادئة :

ـ كلا .

والتفت إلى المدير ، مضيفاً فى خفوت :

ـ الواقع أننى أحسدهم .

وكان هذا يشف عن حقيقة ما يعتمل فى نفسه .. بمنتهى الوضوح ..

* * *

أعاد (علاء) سماعة الهاتف إلى موضعها ، وهو يبتسم فى ارتياح ، فى صالة ذلك المنزل الأنيق فى (مندوسا) الأرجنتينية ، وأدار عينيه إلى (شريف) و (ريهام) ، قائلاً :

ـ من الواضح أن سيادة العميد (أدهم) عبقرى بحق .. رجال (المافيا) الروسية وصلوا (تشيلى) بالفعل ، ويتحرون عن الأمر بمنتهى العصبية والشراسة .

غمغمت (ريهام) ، وهى منهمكة فى عملها :

ـ دعهم يموتون بغيظهم .

تطلّع (شريف) إلى ما تصنعه (ريهام) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ أراهن على أنهم سيفعلون كل ما توقّعه السيّد (أدهم) .. سيستجوبون موظفى البنك ، وطاقم الحراسة ، وسيسعون لصنع رسم دقيق لك ، بذلك الشارب الأبله ، الذى كنت تضعه ، عندما صرفت المبلغ .

ضحك (علاء) ، قائلاً :

ـ ليس لدى أدنى شك فى هذا .

ثم التفت إلى (ريهام) ، يسألها :

ـ ماذا تصنعين ؟!

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ ما أصنعه دائماً .

واعتدلت ممسكة قطعة معدنية صغيرة ، تتصل بعدد من الأسلاك الرفيعة ، وهى تضيف فى حزم :

ـ قنبلة .

تطلّع فى دهشة إلى ما تحمله ، قبل أن يبتسم ، قائلاً :

ـ كنت أظن تلك الأشياء أكبر حجماً .

قالت فى هدوء ، وهى تلصق القطعة المعدنية فى إطار إحدى النوافذ :

ـ ليس بالضرورة .

سألها (شريف) فى توتر :

ـ ماذا تفعلين بالضبط ؟!

أجابته ، وهى تواصل عملها بمنتهى الهدوء :

ـ إجراءات تأمين المكان .. هل نسيت ما أخبرنا به القائد ؟! هناك احتمال وارد ، أن ينجح رجال (المافيا) فى التقاط طرف خيط ثم تنتبه إليه ، ويمكنهم بوساطته تحديد موقعنا .. عندئذ ينبغى أن نكون قد اتخذنا كافة الاحتياطات اللازمة ، حتى لا يباغتونا بهجوم ليلى .

قال فى عصبية :

ـ جهاز إنذار بسيط كان يكفى .

ابتسمت ، قائلة :

ـ ومن يبحث عن البساطة ؟!

هز رأسه فى توتر ، وهو ينهض من مقعده ، قائلاً :

ـ لن يمكننا اعتياد هذه الأمور أبداً .

أجابته بشىء من العناد :

ـ وماذا فى هذا ؟! أنا أيضاً لا يمكننى اعتياد وجود مدنى ، فى مهمة عصيبة كهذه .

بدا عليه الغضب ، وهو يشير إلى صدره ، قائلاً :

ـ هذا المدنى هو حجر الأساس ، فى العملية كلها أيتها المغرورة .

ضحكت قائلة :

ـ وهو أول من يفقد أعصابه أيضاً .

احتقن وجه (شريف) ، وهمّ بقول شىء ما ، لولا أن نهض (علاء) فجأة ، قائلاً فى صرامة :

ـ كفى .

انعقد حاجبا (شريف) ، وهو يتراجع فى مقعده

محنقاً ، فى حين مطّت (ريهام) شفتيها ، وهزّت كتفيها فى صمت ، و (علاء) يتابع :

ـ خطأ .. ما تفعلانه خطأ .. إننا نعمل هنا بروح الفريق ، ولا فارق بين مدنى وعسكرى ، فخيط واحد ومصير واحد يجمعنا كلنا فى سلة واحدة ، والمفترض ألا تنشب بيننا أية خلافات .

ابتسمت فى حرج ، قائلة :

ـ إنه ليس خلافاً .. كانت مجرد مداعبة لتمضية الوقت ، فليس لدينا ما نفعله ، حتى نتلقى أوامر أخرى ، أو يقدم الخصم على خطوة جديدة .

قال (علاء) فى حزم :

ـ من قال : إنه ليس لدينا ما نفعله .. لقد ربحنا عشرة ملايين دولار ، والمفترض أن ننشغل تماماً بإنفاقها .

قال (شريف) فى اهتمام :

ـ أليس المفترض ألا نفعل ؟! أعنى أن أى لص ذكى ، لن ينفق غنيمته بهذه السرعة ، حتى لا ينكشف أمره ،

اعتدل (علاء) ، قائلاً :

ـ لن ننفقها كلها ، ولكننا سنبتاع سيارة فاخرة ، ونشيع أننا نبحث عن سكن باهظ الثمن ، كما سنقضي بعض الوقت في الملاهي الشهيرة ، وننفق عن سعة .

ثم ابتسم ، مستطرداً :

ـ وإلا فكيف سنجذب انتباه (المافيا) الروسية إلينا ؟!

سألته (ريهام) في اهتمام شديد :

ـ أهذه خطة السيد (أدهم) ؟!

أومأ برأسه إيجاباً ، فاعتدلت قائلة في حزم :

ـ سننفذها إذن بلا مناقشة .

أما (شريف) ، فقد أطلق زفرة متوترة ، وقال :

ـ ولكن لو أننا لصوص حقيقيون .

قاطعه (علاء) في حزم :

ـ السيد (أدهم) درس هذه النقطة جيداً ، ووجد أنه من الطبيعي ، بالنسبة لشباب في مثل عمرنا ، أن ننبهر بضخامة المبلغ ، ونهرع إلى إنفاق جزء منه .. هذا هو التصرف الطبيعي .

هز كتفيه ، قائلاً :

ـ فليكن .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في حزم :

ـ إنني أثق تماماً في السيد (أدهم) .

قال (علاء) في هدوء :

ـ كلنا كذلك .

تنهد (شريف) في صمت ، وداعب جهاز الكمبيوتر المحمول بأصابعه بضع لحظات ، قبل أن يسأل :

ـ هل تعتقد أن (المافيا) الروسية ستنجح في التوصل إلينا ؟

صمت (علاء) لحظة بدوره ، ثم أجاب في حزم وقال :

ـ كلا .. لست أعتقد هذا .

سألته (ريهام) في شغف :

ـ هل يعني هذا أن ننتقل إلى الخطوة التالية ؟!

أجاب في سرعة :

- بالضبط .

ثم التفت إلى (شريف) ، وابتسم ابتسامة كبيرة ، مضيفًا :

- الخطوة الثانية .

وانتقلت ابتسامته إلى الجميع ..

بلا استثناء ..

* * *

امتقع وجه (إيفانوفيتش) في شدة ، وهو يراجع التقرير ، الذي سلمته إياه (ميرا) ، قبل أن يقول في صرامة غاضبة :

- ما الذي يعنيه هذا السخف ؟!

أجابته في هدوء :

- الرجال في (تشيلي) فشلوا تمامًا في العثور على أي أثر لذلك الذي انتحل اسم (جون كوك) .. لقد صنعوا رسمًا تخيليًا له ، ووزعوه في طول (تشيلي) وعرضها ، واستجوبوا كل من أمكنهم استجوابه ، وهددوا البعض ، ورشوا البعض الآخر ، وفعلوا كل

ما يمكن فعله ، وكل ما قاموا به ، هو أن الهوية ، التي قدمها ذلك المحتال إلى البنك ، والتي تحمل اسم (جون كوك) ، هوية مزيفة تمامًا .. أما (جون كوك) الحقيقي ، فهو شيخ في السبعين من عمره ، يعاني من الشلل الرعاش ، في واحدة من مصحات (سانتياجو) ..

انعقد حاجباه الكثان بشدة ، وهو يقول في غضب :

- أمر غير مقبول .. لا أحد يخدع (المافيا) الروسية ويسرقها ، ثم يهرب ويختفي بهذه السهولة .

قالت ببرودها التقليدي :

- من الواضح أن من فعل ، أو من فعلوا هذا ، هم عباقرة ، على أي مقياس معروف ، وبارعون تمامًا في التخفي وإخفاء الأثر ، ثم إن لديهم على الأقل خبير كمبيوتر محنك ، لا يشق له غبار ، إلى الحد الذي جعله ينجح في اختراق شبكة معلومات بنك (الجنترا) نفسه .

بدت عليه علامات التفكير العميق ، وهو يقول :

- لا يوجد شخص بالذكاء الكافي ، لإخفاء كل أثر

له تماماً ، وكأنما لا وجود له .. هناك حتماً فجوة ما ..
في مكان ما .. هذا ما تعلمناه منذ نعومة أظفارنا ..
والبراعة هي أن نجد تلك الفجوة ، ونمد يدنا عبرها ،
لننتزعه من عنقه ، ونلقيه تحت أقدامنا .

كان من الواضح أن لسانه ينطق الكلمات ، وعقله
غارق في تفكير آخر عميق ، فسألته (ميرا) في خفوت :

- ماذا لديك أيها الزعيم ؟!

أشار إليها بيده لتصمت ، وغرق في أفكاره بضع
لحظات أخرى ، في عمق شديد .

ولم تكن (ميرا بتروفنا) بحاجة إلى الكثير من
الذكاء والعبقرية ، لتعرف فيم يفكر بالضبط .

فلم يكن هناك ما يمكن أن يشغله ، في تلك اللحظات ،
سوى أمر واحد .

البحث عن تلك الفجوة ..

بأي ثمن ..

ولأنها تعمل معه منذ زمن طويل ، كانت واثقة من
أنه سيعثر عليها حتماً ..

إن عاجلاً أو آجلاً ..

« ماذا لو كنا في موضعهم ؟! »

نطق (إيفانوفيتش) العبارة ، في انفعال مباغت ،
فتطلعت إليه في صمت ، وتركته يتابع ، وهي تعلم أنه
يتحدث إلى نفسه وليس إليها .

- لو أننا نجحنا في اختراق بنك (انجلترا) ، أقوى
شبكة معلومات بنكية ، في العالم أجمع .. هل سنكتفي
بعشرة ملايين دولار ؟!

قالت (ميرا) في بطء حذر :

- لو كنت في موضعهم ، لطلبت بمائة مليون على
الأقل .

أجاب في قوة :

- ولو كنت أنا في موضعهم ، لما تركت للبنك سنتاً
واحداً .

ثم تألقت عيناه ، وهو يتابع :

- ولكنهم تعاملوا باعتبار أن الملايين العشرة هي كل
أموال الدنيا ، أو أنها قادرة على شراء العالم كله ، أو ...

صمت لحظة ، ثم أضاف في صرامة :

ـ أو أنها مجرد بداية .

رددت (ميرا) بنفس الحذر :

ـ بداية ؟!

فرقع بإبهامه ووسطاه ، قائلاً :

ـ نعم .. مجرد بداية .. مبلغ يمكن سحبه في سرية ، من رصيد يحوي مليارات الدولارات كرصيدنا ، وانتظار رد الفعل .

قالت في شيء من الاهتمام :

ـ ونحن لم نبلغ البنك .

قال في سرعة :

ـ وهذا سيجعلهم أكثر اطمئناناً .

بدأت تدرك ما يرمي إليه ، فقالت :

ـ وبدفعهم إلى تكرار المحاولة .

تألقت عيناه أكثر ، وهو يقول :

ـ نفس الخطأ ، الذي يقع فيه المجرم في كل مرة ،

العودة إلى مسرح الجريمة .. الثقة المفرطة ستدفعهم إلى تكرار المحاولة ، كما أن إدراكهم للقيمة الحقيقية لما سلبوه ، ستضاعف من نهمهم للثراء ، وستفقدهم شيئاً من الحذر .

قالت بابتسامة باردة :

ـ وعندما يخترقون شبكة بنك (إنجلترا) مرة أخرى ، سنكون نحن هناك .. وسنلتقط طرف الخيط .

تراجع ليجلس على مقعده في استرخاء واثق ، وعيناه تلتمعان كقطعتين من الجمر ، وهو يقول :

ـ بالضبط .

وحملت شفتاه ابتسامة شيطانية ، وهو يضيف :

ـ ثم ألم أقل لك يا عزيزتي (ميرا) ؟! حتى نحتفظ بالقمة ، لابد وأن نبذل الكثير من الجهد .. الكثير جداً .

وعادت عيناه تتألقان بمنتهى القوة ..

ومنتهى الشر .

* * *

٦ ـ الثغـرة..

بدا الإرهابى الألمانى (هانز نيلريتش) شديد التوتر والعصبية، وهو يجلس داخل حجرة الانتظار، فى جناح فاخر، فى أكبر فنادق (باريس)، مع رفيقيه، اليونانى (نيكولاس ديمترى)، والتركى (شوكت كمال)، وتطلع فى حنق إلى الحارسين الضخمين، اللذين وقفا فى نهاية الحجرة، بزيهما الأسود، ومنظاريهما الداكنين، والمسدسين الكبيرين، اللذين يبدوان فى وضوح، من خلال ذلك البروز فى سترتيهما، قبل أن يقول:

ـ لقد سئمت كل هذا.

ابتسم (نيكولاس)، وهو يسترخى فى مقعده، قائلاً:

ـ اهدأ يا صديقى.. اهدأ.. هكذا تسير الأمور، فى العالم أجمع.

مطّ التركى شفتيه، وهو يقول:

ـ يبدو أننى أشاركه شعوره هذه المرة.. إننا ننتظر منذ أكثر من نصف الساعة، لمقابلة السيّد (كروجر) هذا، دون أن نعرف حتى لماذا طلب مقابلتنا!

قال (نيكولاس) بلا مبالاة:

ـ إنه مندوب ممولى العملية، وهذا يكفى.

أجابه (هانز) فى غضب:

ـ مهما كانت هويته، ليس من اللائق أن يعاملنا بهذا الأسلوب السخيف، فنحن زعماء لمنظمتنا، ولنا سطوتنا وسمعتنا، و...

زمجر اليونانى، قائلاً:

ـ كل هذا لم يمنحنا مليون دولار شهريًا، كما تمنحنا هذه العملية.

هتف التركى فى حدة:

ـ فلتذهب أموالهم إلى الجحيم، لو أن ...

قاطعه فجأة صوت صارم، يقول:

ـ رويدكم أيها السادة.. إنها ليست ساحة قتال.

استدارت عيون ثلاثتهم إلى مصدر الصوت، في حركة عصبية واضحة، فابتسم صاحبه، متابعاً:

- وأنا لست عدواً.

كانوا يتوقعون منه أن يصافحهم شخصياً، إلا أنه تجاهل هذا تماماً، وهو يجلس على مقعد وثير في مواجهتهم، مستطرداً:

- اسمي (كروجر).. (مارك كروجر).. جنرال سابق في الجيش الأمريكي، ومدير حالي لعمليات الشركة، في (أوربا) والشرق الأوسط.

سأله (هانز) بلهجة عدائية:

- أية شركة؟!

ارتسمت على شفتي (كروجر) ابتسامة ساخرة، وهو يقول:

- الشركة التي تدفع رواتبكم يا سيد (هانز).

احتقن وجه (هانز) في غضب، وهو يقول:

- أنا لست موظفاً بأية شركة، ولست..

قاطعته نظرة صارمة، في عيني (كروجر)، فهتف في حدة:

- لا أحد يمكن أن يشتري (هانز ديتريتش).

انعقدت عينا (كروجر) بتلك النظرة الصارمة بضع لحظات، ثم ما لبث أن ينتزعها، والرجل يقول في هدوء:

- ومن قال: إننا نحاول شراءك يا سيد (هانز)؟!

ثم مال إلى الأمام، متابعاً بابتسامة مدروسة:

- إن كل ما ننشده هو أن نتعاون معاً بإخلاص.

نجحت العبارة في تهدئة ثورة (هانز)، وإن لم تمنعه من التراجع في مقعده، وهو يحدج (كروجر) بنظرة شك، في حين تساءل (شوكت) في صرامة:

- لو أن ما تنشدونه هو التعاون فحسب، فلماذا تخفون عنا هويتكم، بكل هذا الغموض؟!

هز (كروجر) كتفيه، وتراجع في مقعده ببطء، مبتسماً:

- ومن قال إننا نخفي هويتنا يا سيد (شوكت)؟! كل ما في الأمر هو أن الكيان الأساسي لنا لم يتكون بعد.. ثم إننا ننتظر نجاح عمليتكم، حتى نعلن أمرنا بصورة واضحة.

قهقه (نيكولاس) ضاحكاً، وهو يقول:

- هذا يعني أننا مفتاح دخولكم إلى عالمنا.

تردد (كروجر) لحظة، ثم أجاب في هدوء:

- إلى حد ما.

قال (هانز) في صرامة:

- وهل يكفي مليون دولار شهرياً، ثمناً لهذا؟! هل تعلم كم بذلنا من جهد، حتى نحتل مكانتنا هذه؟!

ابتسم (كروجر)، قائلاً:

- إننا نعلم كل شيء عنكم يا سيد (هانز).. كل شيء بلا استثناء.

قال (شوكت) في غضب:

- ونحن نجهل كل شيء عنكم.. وأيضاً بلا استثناء.

اتسعت ابتسامة (كروجر)، وكأنما يسعده القول، واعتدل في مقعده أكثر، وهو يشير بيده، قائلاً:

- إنها مسألة وقت يا سيد (شوكت).. مسألة وقت فحسب.

ثم تابع في سرعة، قبل أن يمنح أحدهم فرصة إلقاء سؤال آخر:

- وعندما تنجح عمليتكم، ستكون هناك مفاجأة ضخمة.. أضخم مما تتصورون بكثير.

ارتفع حاجبا (نيكولاس)، ولوّح بكفه الممتلئة في مرح، قائلاً:

- عظيم.. عظيم.. هذا يروق لي بالفعل.

ظلّ (هانز) و(شوكت) صامتين جامدين، دون أن يرتسم أحدهما على شفتيه ولو شبح ابتسامة، فمال (كروجر) نحوهما مرة أخرى، متسائلاً:

- هل يروقكما أيضاً؟!

أجابه (شوكت) في غلظة:

- ليس قبل أن نعرف طبيعة العملية بالضبط.

واندفع (هانز)، يضيف في حدة:

- هذا صحيح يا سيد (كروجر).. لقد تعاقدنا معكم على القيام بعملية إرهابية كبرى في (مصر)، دون أن تبلغونا بأية تفاصيل عنها.

تراجع (كروجر) في هدوء، ورسم على شفتيه ابتسامة دبلوماسية، قائلاً:

- لماذا أنا هنا في تصوركم إذن؟!

قال (شوكت) في صرامة:

- لماذا؟!

فرفع (كروجر) وسطاه وإبهامه، وهو يجيب:

- لسببين.

إثر إشارته، ناوله أحد الحارسين الضخمين حقيبة كبيرة، ربّت عليها في مودة، متابعًا:

- السبب الأوّل هو أن أسلمكم مكافأة إضافية، رأى المسئولون أنكم تستحقونها عن جدارة، بعد عقد الصفقة.

وأدار الحقيبة، وفتحها أمام عيونهم، وهو يراقب انفعالاتهم جيدًا، مضيفًا بلهجة خاصة:

- ستة ملايين دولار، معفاة من كافة أنواع الضرائب والرسوم.

برقت عينا (نيكولاس) في طمع، والتقط حاجبا



وأدار الحقيبة، وفتحها أمام عيونهم، وهو يراقب انفعالاتهم جيدًا، مضيفًا بلهجة خاصة: - ستة ملايين دولار، معفاة من كافة أنواع الضرائب والرسوم..

(شوكت) فى توتر، فى حين بقيت ملامح (هانز) جامدة صارمة بضع لحظات، قبل أن يسأل:

ـ والسبب الثانى ؟

ابتسم (كروجر)، وهو يغلق الحقيبة، ويدفعها نحوهم، مجيباً:

ـ أن أبلغكم تفاصيل العملية.

وبإشارة من يده، ناوله الحارس الثانى حقيبة صغيرة، التقطها فى خفة، ثم قدمها إلى (هانز)، مستطرداً:

ـ هنا ستجدون خطة كاملة، بكل الأرقام والتفاصيل والتواريخ.. اقرءوها جيداً، واحفظوها عن ظهر قلب، ثم سنحتفل معاً بحرقها هنا.. فالأوامر ألا تخرج من هذا الجناح قط، مهما كانت الأسباب.

فتح (هانز) أقفال الحقيبة فى سرعة، وهو يقول:

ـ دليل آخر على انعدام الثقة.

هز (كروجر) رأسه نفياً، وقال:

ـ بل دليل على دقة عملائى وحصافتهم يا سيد (هانز).

بدا مزيج من اللهفة والفضول، على وجوه الرجال الثلاثة، وهم يخرجون الأوراق، ويطالعون الخطة، و...

وفجأة، تحول كل هذا إلى موجة عنيفة من الدهشة، غمرت كيانهم كله، وجعلت أجسادهم تنتفض فى قوة، و (نيكولاس) يهتف ذاهلاً:

ـ مستحيل!

فالعملية التى كان عليهم القيام بها فى (مصر)، كانت أخطر من كل ما يمكنهم تصوره أو تخيله..

ألف مرة..

على الأقل..

* * *

« لقد فعلوها.. »

تألقت عينا (ميرا) فى ظفر، وهى تطلق عبارتها هذه، أمام جهاز الكمبيوتر، فاعتدل (إيفانوفيتش) فى مجلسه، متسائلاً فى لهفة:

ـ حقاً ؟!

أشارت إلى شاشة الكمبيوتر، مجيبة:

- ها هم أولاء .. عملية اختراق شديدة البراعة والدقة والإحكام، لبرنامج الحماية الأمنى، من باب خلفى، ثم اقتحام رموز الشفرة السرية .. يا للبراعة!

سألها (إيفانوفيتش) فى اهتمام:

- هل يمكنك تعقُّبهم ؟!

أومأت برأسها إيجابًا، وقالت:

- لدينا برنامج حديث ومتطوّر للغاية، يتيح لنا تتبُّعهم وتعقُّبهم، دون أن يشعروا بوجودنا، بشرط أن ...

سألها مقاطعًا فى لهفة:

- أن ماذا ؟!

أجابت فى حزم:

- أن نتركهم يتمون عملهم، دون أى تدخُّل منا.

تراجع فى مقعده ببطء، وهو يراقب شاشة الكمبيوتر، قبل أن يشير بيده، قائلاً فى حسم:

- دعهم يسرقون كل ما يمكنهم.

ثم تألقت عيناه فى شراسة، وهو يضيف:

- المهم أن نظفر بهم فى النهاية.

واصلت عملها فى سرعة وصمت، وعيناها تتابعان ما يحدث على الشاشة، ثم لم تلبث أن غمغمت:

- ثلاثون مليونًا هذه المرة.

انعقد حاجباه فى غضب، ولكنه أشار بيده، وهو يداعب لحيته، قائلاً:

- لا بأس.

كانت عملية التحويل بارعة للغاية بالفعل، وهى تنقل المبلغ، من حساب (إيفانوفيتش)، فى بنك (انجلترا)، إلى حساب باسم (جون بروت)، فى بنك (مونتفيديو) الوطنى، فى (أورجواى).

وفى إعجاب حفر طريقه، بين نبرات صوتها الباردة، قالت (ميرا):

- (الأرجنتين).

مطَّ (إيفانوفيتش) شفتيه، قائلاً فى صرامة:

- (أورجواى) ، كما أرى على الشاشة .

هزّت رأسها ، قائلة :

- المبلغ تم تحويله إلى بنك فى (أورجواى) ، ولكن العبث يتمّ عبر جهاز كمبيوتر متطورٌ محمول ، من كابينة هاتف عامة ، فى مدينة (سان هوان) فى (الأرجنتين) .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

- اتصال من (الأرجنتين) ، وتحويل النقود إلى (تشيلى) و (أورجواى) .. يا للبراعة !

ثم اعتدل فى مجلسه ، مضيفاً :

- أريد من يدير هذه اللعبة .. بأى ثمن .. أرسلى رجالنا إلى (أورجواى) و (الأرجنتين) فوراً .. أريدهم أن يتتبعوا أى شخص ، يذهب لصرف النقود من ذلك البنك فى (مونتفيديو) ، والبحث فى الوقت ذاته عن أى مشتبه فيه فى (الأرجنتين) كلها .

وهبّ من مقعده ، متابعاً فى حزم صارم :

- لو أن أصحاب هذه اللعبة بالبراعة ، التى يوحى بها أسلوبهم ، فمن المؤكد أنهم لا يقيمون فى (سان هوان) ، التى أتموا منها الاتصال ، ولكن لا بأس من فحصها أيضاً ، وإن كنت أعتقد أنهم يقيمون فى منطقة قريبة .

وصمت طويلاً ، وهو يراقب شاشة الكمبيوتر ، قبل أن تتألق عيناه بمنتهى الشدة ، وهو يضيف :

- أعتقد أننا قد ظفرنا بهم هذه المرة ..

وعلى شفتيه ، ترقصت ابتسامة ..

ابتسامة زعيم ..

قاتل ..

* * *

خفق قلب (منى) ، فى سعادة جارفة ، وهى تجلس على مائدة أنيقة ، تطل على نيل (القاهرة) مباشرة ، وتقول فى حنان :

- لن يمكنك تصورّ مدى سعادتى يا (أدهم) .. على الرغم من كل السنوات ، التى عملنا فيها معاً ، هذه أول مرة نخرج فيها لنزهة عادية .

حاول (أدهم) أن يبتسم، وهو يقول:

- لم يكن لدينا أبدًا الوقت لهذا.

ضحكت، قائلة:

- إننا حتى لم نكن نلتقي في (القاهرة) إلا نادرًا، وداخل مبنى المخابرات فحسب.

قال في هدوء:

- إنها ظروف العمل.

كان يتحدث بهدوء مهذَّب، وابتسامته لا تفارق شفتيه لحظة واحدة..

وعلى الرغم من هذا، فقد شعرت بالقلق من أجله..

بكل القلق..

ربما كان يجلس معها بجسده وقلبه..

ولكن ليس حتمًا بعقله..

هناك شيء ما يشغله..

ويقلقه..

وبشدة..

واعتصرت قبضة باردة قلبها من أجله..

إنه غياب ابنه الوحيد حتمًا..

الابن الذي أنجبه من عدوة لدود في ظروف غير طبيعية(*)، والذي اختفت به تلك الأفعى اللعينة، دون أن تترك خلفها أدنى أثر(**).

وبكل حنان وحب الدنيا، مدت يدها تضغط كفه، متسائلة:

- أما زال غياب ابنك يحزنك؟!

أومأ برأسه إيجابًا، وهو يقول في مرارة:

- حزن لا يمكنك تصوُّره.

ثم هز رأسه، وانطلقت من أعمق أعماق صدره زفرة ملتهبة، متابعًا:

- لم أكن أتصور أن مشاعر الأبوة قوية عنيفة إلى هذا الحد.. لقد أحببت دومًا والدي رحمه الله، وكنت

(*) راجع قصة (جزيرة الجحيم).. المغامرة رقم ٨٤
(**) راجع قصة (محيط الدم).. المغامرة رقم ١٢٠

واثقاً فى قوة حبه لى ، إلا أننى لم أشعر بكل هذا حقاً ، إلا بعد أن أنجبت ابنى ..

شعرت فى أعماقها بغيرة لم تستطع كبتها ، وهو يتحدث عن ابنه ..

الابن الذى أنجبه من (سونيا جراهام) ..

والذى طالما تمنت أن ينجبه منها ..

كان كلما تحدث عنه ، تذكرت هى أنه تزوج يوماً بتلك الإسرائيلية اللعينة ..

صحيح أن ضياع ذاكرته حينذاك ، جعله يتصور أنه يتزوجها هى ..

وصحيح أن هذا يبعث فى نفسها الكثير من الزهو والسعادة ..

ولكنها لاتستطيع منع نفسها من الشعور بكل هذه الغيرة ..

يكفى أن (سونيا) وحدها حملت يوماً اسمه ..

وأنجبت ابنه ..

يكفى هذا ليمزق نياط قلبها ، بلا رحمة أو هوادة ..

كل هذا لأنها تهواه ..

تحبه ..

تعشقه ..

لأن قلبها لم يخفق يوماً إلا له ..

انتبهت من أفكارها على أنامله ، وهى تداعب أصابعها فى رفق ، مع صوته الحنون الدافئ ، وهو يقول مبتسماً :

ـ ولكن لماذا نتذكر الحزن الآن ؟! ألسنا هنا لنتمتع بقليل من الهدوء والسعادة ؟!

أومأت برأسها ، قائلة :

ـ لن يمكنك أن تتصور مدى سعادتى ، ولكن من الواضح أن شيئاً ما يقلقك ، وينتزع ذهنك وفكرك منى .

تنهد وكأنه يعترف بصحة ماتقول ، وتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ الواقع أننى أتولى مهمة خاصة .

قلت في دهشة :

ـ مهمة خاصة ؟! هنا ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

ـ بل مهمة دولية ؟!

كررت بدهشة أكبر :

ـ مهمة دولية ؟! ولكن ..

قاطعها بصوت خافت :

ـ لست أقوم بالمهمة شخصيًا يا عزيزتي .. إنني أديرها فحسب ..

وعلى الرغم من أن عبارته كانت تفسيرية ، إلا أنها ضاعفت من دهشتها وحيرتها ، وهي تتراجع في مقعدها ، مغمغمة :

ـ حقًا ؟!

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ نوع من التغيير يا عزيزتي .. أو فلنقل إنها تدريبات ذهنية ، في الفترة التي يعجز فيها جسدي عن العمل .

تطلعت إليه بضع لحظات في صمت ، قبل أن تميل نحوه ، قائلة :

ـ (أدهم) .. لماذا لا تبدو لي كلماتك مقنعة ؟!

صمت طويلاً هذه المرة ، ثم أجاب في بطء :

ـ ربما لأنها لا تعبّر عما أشعر به بالفعل يا (منى) .

تطلعت إليه مرة أخرى ، قائلة :

ـ هل تشعر بالحنين للعمل ؟!

قال في مرارة :

ـ ما أقوم به هو عمل أيضًا يا (منى) .. بل هو صميم عملي الأصلي كضابط مخابرات .

سألته في حيرة :

ـ ما الذي يقلقك إلى هذا الحد إذن ؟!

سبح ببصره طويلاً ، مع انعكاس الأضواء المتموّجة ، على مياه النيل ، قبل أن يلتفت إليها ، قائلاً :

ـ ربما لأنني لم أعتد المجازفة بأرواح الآخرين .

وعاد ببصره يشرد ، مستطردًا :

- أو ربما لأن العملية تمرّ بأدق مراحلها .. أدقّها على الإطلاق ..

وكان على حق في قوله هذا ..

تماماً ..

* * *

لم يكد بنك (مونتفيديو) الوطني يفتح أبوابه ، في الثامنة صباحاً ، حتى كان (علاء) هو أول من عبرها ، وهو يحمل حقيبة سفر كبيرة ، استوقفه الحارس من أجلها ، وهو يقول في صرامة :

- افتح الحقيبة من فضلك .

ابتسم (علاء) ، وقال بالإسبانية ، وهو يفتح الحقيبة الكبيرة :

- إنها خالية .

فحص الحارس الحقيبة في سرعة ، قبل أن يسأله :

- ولماذا تحضر إلى البنك بحقيبة سفر خالية ؟!

ضحك (علاء) ، ومال عليه ، قائلاً :

- فليكن هذا سراً بيننا .. إنني أنوي الرحيل بها مكتظة بالأموال .

هتف الحارس في دهشة :

- كل هذه ؟!

اعتدل (علاء) ، قائلاً :

- نعم .. كل هذه .

ثم ضحك ، مضيفاً :

- ولكن اطمئن .. إنها ليست حادثة سطو .

قالها ، وتقدّم نحو صرّاف البنك ، وألقى عليه التحية ، ثم دفع أمامه ورقة صغيرة ، قائلاً :

- أريد صرف رصيدي كله .

حدّق الصرّاف في الورقة ، هاتفاً في دهشة :

- ثلاثون مليون دولار ؟!

هتف به (علاء) في خفوت :

- اخفض صوتك يا رجل .. هل ترغب في إطلاق نصف لصوص (أوروجواي) خلفي ؟!

ازدرد الصراف لعابه فى توتر ، قائلاً :
ـ هل ترغب فى تحويل المبلغ إلى بنك آخر ياسيدى ؟!
هزّ (علاء) رأسه نفياً ، وقال :
ـ بل أريد المبلغ كله عداً ونقداً .
ارتفع حاجبا الصراف فى دهشة مذعورة ، وهو يجيب :
ـ ربّاه ! ولكن عدّ مثل هذا المبلغ سيستغرق النهار كله يا مسيو (بروت) .
أجابه (علاء) فى هدوء :
ـ سأنتظر .
التقط الصراف نفساً عميقاً ، وقال :
ـ كما تأمر يامسيو (بروت) .. هويتك من فضلك ، فمع هذه المبالغ الضخمة ، ينبغى أن نبلغ رئيس مجلس إدارة البنك شخصياً ، ونقوم ببعض الإجراءات القانونية .
ناوله (علاء) هويته الزائفة ، التى تحمل اسم (جون بروت) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ هذا أمر طبيعى .
ثم كرّر ، وهو يتجه نحو مقعد وثير كبير ، فى بهو البنك :
ـ سأنتظر .
جلس بمنتهى الهدوء ، على الرغم من ثقته الشديدة بأن رجال (المافيا) الروسية يراقبونه حتماً ، فى تلك اللحظات .
فمن المستحيل ألا يكونوا هنا الآن ..
لقد أعدّ (أدهم صبرى) خطته بمنتهى الدقة ..
والإحكام ..
والبراعة ..
لقد كان واثقاً من أنهم سيبتلعون الطعم كله ..
وهذا لأنهم شديدو القوة ..
والبراعة ..
والذكاء ..
ولقد أعدّ خطته ، بناء على كل هذا ..

فمع عجزهم عن الإيقاع بمن سرق ملايينهم العشرة ، لن يكون أمامهم سوى بديل واحد ..

أن يسمحوا له بتكرار فعلته ..

ثم يتعقبونه إلى مصدر الإرسال ..

ولأنهم سيدركون بالطبع ، أنه من العسير تحديد موقعه بدقة ، نظرًا لأنه يتم من هاتف عمومي ، فلن يكون هناك أفضل من رصد الشخص ، الذي سيقوم بسحب القيمة الجديدة من البنك ..

وهذا ما سيفعلونه حتمًا ..

أو ما يفعلونه الآن ..

دون أدنى شك ..

أما ما عليه أن يفعله هو ، فهو أن يجلس ..

وينتظر ..

فحسب ..

« لقد بدءوا في عد المبلغ بالفعل .. »

نطق (شريف) العبارة في انفعال ، وهو يتطلع إلى

جهاز الكمبيوتر النقال المحمول ، داخل سيارة صغيرة ، تقف على مسافة مائة متر فحسب من البنك ، فتنهدت (ريهام) ، وتثاءبت في تكاسل ، قائلة :

ـ عظيم .. كم سيستغرق هذا في رأيك ؟!

هز كتفيه ، قائلاً :

ـ لو أنهم يستخدمون أجهزة عد حديثة ، فسيحتاج هذا إلى أربع ساعات تقريبًا .

تثاءبت مرة أخرى ، قائلة :

ـ يا للملل ! لن يمكنني الانتظار داخل السيارة ، كل هذا الوقت .

مط شفتيه ، وغمغم بالإسبانية ، التي يتحدثون بها طوال الوقت :

ـ ليس أمامنا سوى هذا .

في نفس اللحظة ، التي نطق فيها عبارته ، قالت (ميرا) ، وهي تجلس أمام ذلك الكمبيوتر ، داخل قصر (إيفانوفيتش) ، في ضواحي (موسكو) :

ـ الرجل داخل البنك بالفعل ، ينتظر الانتهاء من عد

المبلغ ، وهناك آخر ما زال يخترق النظام الأمنى للبنك ، من خلال جهاز كمبيوتر دفترى ، بوساطة هاتف محمول .

سألها (إيفانوفيتش) فى اهتمام كامل :

- هل يمكنك تحديد موقع ذلك الآخر ؟!

ضغطت ، وأصابعها تجرى على أزرار الكمبيوتر :

- بالتأكيد .

راقبها بمنتهى الاهتمام ، وهى تستخدم أفضل البرامج وأحدثها ، قبل أن تقول فى حزم :

- ها هو ذا .

سألها فى لهفة :

- أين ؟!

التفتت إليه ، مجيبة :

- على بعد ثلاثمائة متر من البنك .. داخل سيارة على الأرجح .

تألقت عيناه ، وهو يقول :

- عظيم .

ثم اعتدل فى مجلسه ، وتابع فى صرامة آمرة :

- أخبرى الرجال أن ساعة الصفر قد حانت .

وتضاعف تألق عينيه ، وهو يضيف :

- أريد هؤلاء المحتالين .. الآن .

وصدرت الأوامر لرجال (المافيا) الروسية فى (أورجواى) ..

وبدأت المعركة ..

الحقيقية .

* * *



٧ ـ مخالب الفأر..

هبَّ الكل واقفًا في احترام، داخل حجرة العمليات، في الطابق الثالث من مبنى الأمن القومي، في المخابرات العامة المصرية، عندما دلف (أدهم صبري) إلى المكان، وارتسم على الوجوه مزيج من الإعجاب والانبهار، وهو يلقي التحية، ويعلّق سترته على المشجب، ثم يجلس أمام شاشة كمبيوتر المتابعة، متسائلاً في اهتمام:

- هل بدأت العملية ؟!

أجابه أحد الرجال:

- لقد بدأنا في تلقي التقارير منذ دقائق.

راجعت عيناه بسرعة آخر المعلومات، الواردة من (مونتفيديو)، قبل أن يشير بيده، قائلاً في حزم:

- مُر الجميع هناك بمتابعة الموقف دقيقة فدقيقة، دون أن تفارق هواتف الأقمار الصناعية جيوبهم لحظة

واحدة(*).. أريد معرفة التطورات أولاً فأولاً.

أجابه رجل آخر في حماس، وهو ينقل الأوامر للرجال في (أورجواي):

- بالتأكيد يا سيادة العميد.. بالتأكيد.

ثم تردّد لحظة، قبل أن يقول بابتسامة عريضة:

- باسم كل الزملاء، أريد أن أبلغك أننا سعداء للغاية بمقابلتك وجهًا لوجه يا سيادة العميد.. لقد تابعنا عملياتك المبهرة طويلاً، ولكنها أول مرة نراك فيها شخصيًا.

صمت (أدهم) بضع لحظات، قبل أن يقول، مشيرًا إلى الكمبيوتر:

- ربما لأنني كنت دائمًا على الجانب الآخر.

ابتسم الرجل، قائلاً:

(*) هاتف الأقمار الصناعية: نوع من الهواتف المحمولة، يتصل بأقمار الاتصال الصناعية مباشرة، مما يعني عدم احتياجه لأية شبكات سطحية لإتمام الاتصال، وهذا يمنحه ميزة العمل في أي مكان على وجه الأرض، حتى ولو لم تتوافر فيه خدمة الهواتف المحمولة، أو حتى في الصحارى والغابات، وفي قلب المحيط.

- لست أظن أنه سيكون هناك فارق كبير ياسيدى .

صمت (أدهم) لحظات أطول هذه المرة ، ثم أجاب في خفوت :

- أعلم هذا .

واستعاد صوته حزمه فجأة ، وهو يضيف :

- والآن هيا .. عد إلى عملك .. لاينبغى أن نفقد ثانية واحدة من الأحداث .

هتف الرجل في حماس :

- أمرك ياسيادة العميد .

وما إن ابتعد الرجل ، حتى تمتم (أدهم) ، محدثًا نفسه في توتر :

- الأحداث الحقيقية ، التى ستبدأ الآن ..

وعاد يتابع الشاشة ، في انتظار أخبار جديدة ..

أية أخبار جديدة ..

* * *

« الهوية مزوَّرة .. »

نطق الروسى الضخم العبارة في حزم ، بلغة إسبانية سليمة تمامًا ، فاتسعت عينا مدير بنك (مونتفيديو) الوطنى في ارتياع ، وهو يقول بصوت مرتجف :

- مزوَّرة ؟! ولكن هذا مستحيل ياسيدى .. الهويات في (أورجواى) غير قابلة للتزوير ، و ...

قاطعه الروسى في غلظة :

- كفاك حماقة يا رجل .. أى شيء في الدنيا يمكن تزييفه ، وتزويره ، مادمت تمتلك الكفاءة والتكنولوجيا والأموال اللازمة لذلك .. ذلك المدعو (جون بروت) ، الذى يجلس خارجًا ، بمنتهى الهدوء والثقة والصفاقة ، ليتسلم أموالنا ، هو شخص زائف تمامًا ، ولقد أحضرنا لك هوية (بروت) الأصلى ، وأبلغناك في منزلك ، في السابعة صباحًا ، أنه سيأتى لسحب ثلاثين مليونًا من الدولارات .. أما زلت تشك في أمورنا ، بعد كل هذا .

تردَّد مدير البنك ، قبل أن يقول :

- وماذا لو كنتم بعض منافسيه ، وتحاولون منعه من صرف المبلغ ، لإفساد صفقة ما ؟!

احتقن وجه الروسي الضخم في غضب، وهمّ بالانفجار، لولا أن استوقفه روسي نحيل آخر، وهو يقول:

- الرجل على حق في مخاوفه.

التفت إليه الضخم في حدة، فتابع في صرامة، وهو يشعل سيجارته:

- من أدراه أننا لسنا منافسين لذلك المحتال بالفعل.

هتف مدير البنك:

- أرأيت ؟! لايمكنني الوثوق بشيء.

وضع النحيل يده على كتف المدير، ونفث دخان سيجارته في الهواء بقوة، قائلاً بابتسامة لزجة:

- لذا فلن نطالبك بمنع صرف المبلغ، مادمت ترى هذا قانونيًا .. كل ما نطالبه منك هو أن تستدعي ذلك المحتال إلى هنا، وتخبره أنكم تشكون في أن هويته مزوَّرة، ولنر بعدها ما سيحدث.

انعقد حاجبا المدير، في تفكير عميق، فزمجر الضخم، قائلاً في شراسة:

- ولا تنس أن النقود، التي سيستولي عليها هذا المحتال، هي نقود السيد (جريشام)، ولو أنك أجريت القليل من التحريات عنه، لأدركت أنه لايتسامح مع من تسبب في خسارته لسنت واحد.. فما بالك بثلاثين مليونًا.

امتقع وجه مدير البنك، وهو يتمتم:

- بالطبع يا سادة.. بالطبع.

وابتلع لعابه بصعوبة بالغة، قبل أن ينادي مساعده، ويقول له في صرامة متوترة:

- أطلب من المستر (بروت) الحضور إلى مكتبي.

ولم يكد مساعده ينصرف لتنفيذ الأمر، حتى التفت المدير إلى الرجلين، قائلاً بابتسامة مرتجفة:

- هل .. هل أحسنت التصرف ؟!

في نفس اللحظة، التي نطق فيها عبارته، كان مساعده يتجه نحو (علاء) وينحني أمامه في احترام، قائلاً:

- مستر (بروت).. المدير يطلبك في مكتبه، لبعض الإجراءات، التي تحتاج إلى توقيعك شخصيًا

ابتسم (علاء) في هدوء ، وهو يقول :

ـ لابأس .

نهض حاملاً حقيبة السفر الكبيرة ، فتنحنح مساعد المدير في حرج ، وقال :

ـ معذرة ياسنيور (بروت) ، ولكن ليس من اللياقة أن تجعلك تحمل هذه الحقيبة طوال الوقت .. دعنا نتركها عند الصرّاف ، حتى تنتهي من توقيع الأوراق .

هزّ (علاء) كتفيه بلامبالاة ، قائلاً :

ـ فليكن .

وتبعه إلى مكتب المدير بنفس الهدوء ، تاركًا الحقيبة في مكتب الصرّاف .

وفي حجرة المدير ، رمق الروسي النحيل زميله الضخم بنظرة خاصة ، فالتمعت عيناه ، وابتسم في شراسة ، ودسّ يده في سترته ، ليقبض على مسدسه المعلّق تحت إبطه في قوة ، وعقله يسترجع أوامر زعيمه ..

وفي اللحظة ذاتها ، كان (شريف) داخل تلك السيارة ،

على بعد مائة متر من البنك ، يراقب شاشة الكمبيوتر الدفتري ، مغمغمًا في توتر :

ـ عجبًا ! لقد توقّفوا عن العد ، ثلاث دقائق كاملة ! تُرى لماذا ؟!

جرت أصابعه في سرعة ، على أزرار الكمبيوتر ، المتصل بهاتفه المحمول ، في محاولة لمعرفة سر ما يحدث في البنك ، و ...

ـ توقّف ، أو أنسف رأسك بلا رحمة ..

اخترقت العبارة أذنيه بغتة ، بلغة إسبانية ركيكة ، فانتفض جسده في عنف ، واستدار في ارتياع إلى مصدرها ، فارتطم بصره بفوهة مسدس ، مزوّد بكاتم للصوت ، وخلفها وجه أشقر منتفخ ، يتابع في صرامة شرسة :

ـ ارفع أصابعك عن ذلك الكمبيوتر ، واخرج من السيارة في بطء ، وحذار أن تمس شيئًا ، وإلا ...

انتبه (شريف) فجأة إلى شخص آخر ، يتجه في صرامة نحو باب السيارة الخلفي ، وهو يستل من حزامه مسدسًا آخر ، مزوّدًا بكاتم للصوت أيضًا ، و ...



فارتطم بصره بفوهة مسدس ، مزوَّد بكاتم للصوت ، وخلفها وجه أشقر منتفخ ..

وفجأة ، اخترقت قدم قوية المشهد ، وهي تركل ذلك الشخص الآخر في معدته ، مع صوت (ريهام) ، وهي تهتف بالإسبانية :

ـ معذرة للتأخُّر .

انثنى الرجل في ألم ، في نفس اللحظة التي استدار فيها زميله نحو (ريهام) ، بكل شراسة الدنيا ، فدفع (شريف) جسده إلى الأمام ، وضرب باب السيارة بكل قوته ، فانفتح في عنف ، مرتطمًا بيد الرجل ، ومطيحًا بمسدسه المزوَّد بكاتم للصوت ، فدارت (ريهام) حول نفسها ، ولكمت الرجل في فكه وأنفه لكمتين متتاليتين ، قائلة :

ـ من حسن الحظ أن خالفت التعليمات ..

ثم وثبت تركل زميله في أنفه مباشرة ، متابعة :

ـ فلولا خروجي لشراء بعض المرطبات .

وهوت على مؤخرة عنقه بلكمة كالقنبلة ، وهي تضيف في حزم :

ـ لوقعنا في الفخ معًا .

لم يكد الرجل الثاني يسقط أرضًا ، وسط دهشة المارة ، حتى وثبت هي داخل السيارة ، وأدارت محركها ، هاتفة بالإسبانية :

ـ أطلق الإنذار .. أسرع .

انتزع (شريف) هاتفه المحمول من الكمبيوتر الدفتري ، وضغط أحد أزراره ، وهو يهتف ، في نفس اللحظة التي انطلقت فيها (ريهام) بالسيارة ، نحو بنك (مونتفيديو) الوطني .

ـ اترك كل شيء ، وانسحب فورًا يا (جون) .. لقد انكشف كل شيء ..

التقطت أذن (علاء) ذلك الهتاف ، عبر جهاز اتصال دقيق ، مثبت في ذراع المنظار الطبي الزائف ، الذي يتخفى به ، في نفس اللحظة التي بلغ فيها باب مكتب المدير ، والتي استعد فيها الروسي الضخم بمسدسه ، فتوقف دفعة واحدة ، وقال بابتسامة هادئة :

ـ آه .. يبدو أنني مضطر لإلغاء هذه المقابلة .

انعقد حاجبا مساعد المدير في توتر ، وهو يتساءل :

ـ ولكن لماذا يا سنيور (بروت) ؟!

كان من الواضح أن العبارة قد بلغت مسامع من بالداخل ، فقد فتح الروسي النحيل باب حجرة المدير ، في تلك اللحظة بالذات ، ورمق (علاء) بنظرة نارية ، قائلاً :

ـ سنيور (بروت) .. أليس كذلك ؟!

كانت لغته الإسبانية متقنة للغاية ، ولكن وجهه المحمر ، وشعره الأشقر ، وعيناه الزرقاوين ، وملامحه الحادة ، كانت تشف عن جنسيته في وضوح ، كما أن مرأى ذلك الضخم ، الذي يشاركه سمات الملامح ذاتها ، ويده المدسوسة في سترته ، لانتزاع مسدسه ، كانت كلها تكفي ليدرك (علاء) الموقف كله ، من اللحظة الأولى ..

وفي لحظة واحدة ، وقبل حتى أن تكتمل عبارة الروسي النحيل ، أو يكمل الضخم سحب مسدسه ، كان (علاء) قد تحرك بالفعل .

لقد اندفع إلى الأمام بغتة ، ولكم الروسي النحيل بكل

قوته ، ثم تراجع في سرعة ، وجذب إليه مساعد المدير ، الذي صرخ مذعوراً :

ـ ماذا حدث ؟!

ومع آخر حروف صرخته ، كان الروسي الضخم قد سحب مسدسه ، وهو يهتف :

ـ الله ..

وقبل أن يتمها ، كان (علاء) يدفع مساعد المدير نحوه في قوة ، ليرتطم به في عنف ، في نفس اللحظة التي دار فيها بطلنا حول نفسه ، وانطلق يعدو خارجاً ..

وانطلقت رصاصة الضخم ، من فوهة المسدس ، المزودة بكاتم للصوت ، واخترقت جدار الممر ، الذي يعدو عبره (علاء) ، في حين نهض النحيل ، هاتفاً :

ـ الحق به .. لاتسمح له بالفرار أبداً

ثم التقط من جيبه مسماعاً صغيراً ، وهتف عبره :

ـ إنه يحاول الفرار .. امنعوه .. امنعوه بأي ثمن

التفط ثلاثة من الرجال مفتولي العضلات النداء ، في

ساحة البنك ، فتحركوا في سرعة ، لاعتراض طريق (علاء) ، ومنعه من الفرار ..

وفي نفس اللحظة ، التي بلغ فيها (علاء) الساحة ، استلّ الرجال الثلاثة مسدساتهم ، في وحشية متحفزة ..

وضغط (علاء) زر جهاز إرسال صغير ، في جيب قميصه ، في نفس اللحظة التي وثب فيها إلى الأمام بكل قوته ..

ومع قفزته ، بلغت الإشارة التي أطلقها مفجرًا دقيقًا ، ألصقه (ريهام) في مهارة ، في كعب حقيبة السفر الكبيرة ، التي تركها أمام مكتب الصراف ، و ...

ودوى الانفجار ..

انفجار محدود للغاية ، ولكنه صنع موجة عاتية من الذعر والهلع داخل البنك ، وأصاب رجال (المافيا) الروسية الثلاثة بارتباك مباغت ، أتاح لبطلنا أن يثب نحو أقربهم إليه ، ويلكمه في فكه لكمة كالقنبلة ، ثم ينتزع مسدسه ، ويلقي نفسه أرضًا ، متفاديًا رصاصة رجل آخر ، قبل أن يطلق رصاصة من المسدس الذي

لنزعه ، ليطيح بمسدس الرجل ، ويخترق ساقه برصاصة ثانية ..

أما الرجل الثالث ، فقد اندفع كل جمهور البنك نحوه ، فى محاولة مذعورة للفرار ، بعد ذلك الانفجار المحدود ، فصرخ محاولاً منعهم :

ـ ابتعدوا وإلا ....

نطق عبارة التهديد غير المكتملة بالروسية ، فلم يفهمها أحد ، كما أن الذعر الناشئ عن الانفجار ، كان له اليد العليا فى تلك اللحظات ، ثم جعل الرجل يفقد توازنه أمام رواد البنك ، ويسقط تحت أقدامهم ، وهو يسب ساخطًا ، ويطلق صرخات الغضب والألم ، حتى سمع صوتًا يقول بالإسبانية :

ـ هيًا .. تم البلاغ .

ومع نهاية العبارة ، هوت على قفاه لكمة ساحقة ، من قبضة (علاء) ، الذى اندفع مع الجميع خارج البنك ، وراح يعدو نحو السيارة ، التى تقودها (ريهلم) ، والتى هتفت بالإسبانية :

ـ أسرع يا (جون) .. أسرع .

وثب فى رشاقة داخل السيارة ، التى ضغطت (ريهلم) دواسة وقودها بأقصى قوة ، وهى تصرخ بالإسبانية :

ـ هيا .

ومع انطلاقها بالسيارة ، اندفع الروسى النحيل خارج البنك ، ولمحها تبتعد ، فلوّح بيده ، صارخًا فى غضب :

ـ أيها الحمقى .

برز الضخم من خلفه ، وانطلق يعدو نحو سيارة كبيرة ، تنتظر عند الناصية ، وهو يلوّح بيده ، صارخًا فى غضب :

ـ (تروتسكى) .. أسرع .. ماذا تنتظر أيها الأحمق ؟!

انطلقت السيارة نحوه مباشرة ، فقفز مع النحيل داخلها ، وسائقها يقول مرتبكًا :

ـ لقد أمرتما ألا أغادر موقعى ، مهما حدث ، و ....

قاطعه النحيل فى صرامة :

- كف عن الحديث ، وانطلق خلف تلك السيارة أيها الأحمق .. لاتسمح لهم بالفرار قط ، وإلا مزقنا الزعيم إربًا ..

ضغط (تروتسكي) دواسة الوقود ، فانطلقت السيارة الكبيرة خلف سيارة الفريق مباشرة ..

وبأقصى سرعة ..

وفي مهارة ، انحرفت سيارة (ريهام) خارج الطريق الرئيسي ، وهي تهتف :

- إنهم خلفنا .

أجابها (شريف) في توتر :

- سيارتهم كبيرة قوية ، وأخشى أن ...

قاطعه (علاء) في صرامة :

- لاتخش شيئًا .

ثم التفت إلى (ريهام) ، متابعًا :

- ماذا تفعلين ، عندما يكون خصمك أكثر قوة ؟!

ابتسمت في جذل ، مجيبة :

- أصبح أكثر براعة .

ثم انحرفت بسيارتها في عنف ، على الأرض غير الممهدة ، مثيرة عاصفة من الغبار ، جعلت النحيل يطلق سبابًا ساخطًا ، ويهتف :

- لا تسمح لهؤلاء الأوغاد بالإفلات منك يا (تروتسكي) ، وإلا نسفت رأسك .. هل تفهم ؟!

ازدرد (تروتسكي) لعابه في صعوبة ، ومال بالسيارة ، في محاولة للإفلات من سحابة الغبار ، ولمح سيارة الفريق تتجاوز المنطقة المنبسطة ، وتندفع نحو منطقة كثيفة الأشجار ، فهتف :

- إنهم مجانين .

صاح به النحيل :

- كن أكثر جنونًا منهم ، ولكن إياك أن تفقدهم .. إياك .

اقتحمت (ريهام) منطقة الأشجار ، في جرأة تحسد عليها ، وهي تهتف :

- إنهم مصرون على اللحاق بنا .

غمغم (علاء)، وهو يلتقط مسدسنا، من أسفل مقعده:

ـ دعيهم يصرون.

هتف به (شريف) متوترًا:

ـ هل يمكنك التصويب عليهم، والسيارة تترجرج بهذا العنف؟

أجابه (علاء) في هدوء:

ـ سأحاول.

ثم استدار، وأطلق النار على الزجاج الخلفي للسيارة، فهتف (شريف):

ـ ماذا تفعل بالله عليك؟!

ولكن (علاء) لم يجب هتافه، وهو يصوب مسدسه إلى السيارة الكبيرة، التي تبعتهم بنفس الجرأة، بين الأشجار المتقاربة..

ويطلق النار..

ومع أول رصاصة، هتف النحيل في حنق:

ـ إذن فهم يرغبون في تبادل إطلاق نيران.

وفي لحظة واحدة تقريبًا، برز هو والضخم من نافذة السيارة، وكل منهما يحمل مدفعًا آليًا متقدمًا، وصاح:

ـ فليكن.

وانهال سيل من الرصاصات على سيارة الفريق.

وفي ذعر، خفض (شريف) رأسه، هاتفًا:

ـ لم تكن فكرة جيدة.

خفض (علاء) رأسه بدوره، وهو يقول:

ـ أعتقد أنك على حق هذه المرة.

انتزعت (ريهام) من حزامها كرة صغيرة، وهي تواصل انطلاقها بالسيارة، وسط غابة الأشجار، على الرغم من الرصاصات المنهمرة عليها كالمطر، وهتفت:

ـ ربما كانت لدي فكرة أفضل.

قالتها، وقذفت الكرة خارج السيارة، وهي تميل بها بحركة حادة، متفادية الارتطام بجذع شجرة ضخم، فهتف بها (شريف):

- ما هذا بالضبط ؟!

هزت كتفيها ، مجيبة :

- قنبلة دخان .

ومع آخر حروف إجابتها ، دوى من خلفهم انفجار مكتوم ..

وتفجرت سحابة ضخمة من الدخان ..

وفي السيارة الروسية ، صرخ الضخم :

- يا لـ ...

وقبل أن يتم عبارته ، ضغط (تروتسكي) فرامل السيارة مضطرًا ، بعد انعدام الرؤية أمامه بغتة ، وسط سحابة الدخان ، التي أطلقتها القنبلة ..

ولكن الأشجار كانت أكثر كثافة في هذه البقعة بالذات ..

لذا فالفرامل لم تكن كافية تمامًا ..

ولم تستطع منع ارتطام السيارة الكبيرة ، بجذع الشجرة الضخم نفسه ، الذي نجحت (ريهام) في تفاديه

وصرخ النحيل ، بكل غضب وثورة الدنيا :

- لا !!!!

وراح مع صرخته يطلق نيران مدفعه الآلي بمنتهى العنف ..

والغزارة ..

والثورة ..

ولكن كل ذلك السيل من الرصاصات لم ينجح في تبديد سحابة الدخان ، التي أطلقتها القنبلة ، والتي راحت تتقشع في بطء ، قبل أن تتلاشى تمامًا ..

وعندما حدث هذا ، كانت سيارة الفريق قد اختفت وسط غابة الأشجار ..

دون أدنى أثر ..

* * *

« عظيم .. »

نطق (أدهم) الكلمة في ارتياح هادئ ، وهو يتلقى التقرير الأخير من (أورجواي) ، ويتراجع في مقعده ،

وهو يلتقط نفساً قوياً عميقاً ، فسأله أحد رجال فرقة العمليات في حيرة كبيرة :

ـ وهل يسعدك أن رجالنا قد نجحوا في الفرار يا سيادة العميد ؟!

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .

سأله رجل آخر ، في حيرة أكبر :

ـ ولكننا كنا نعلم منذ البداية أن رجال (المافيا) الروسية سيحاولون الإيقاع بهم في الفخ ، عندما يذهبون لسحب المبلغ من البنك .

هز (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

ـ أمر طبيعي .

تبادل الرجال نظرة حائرة ، ثم قال أحدهم في تردد :

ـ معذرة يا سيادة العميد ، ولكننا كنا نتصور أن الغرض من كل هذا ، هو أن يقع الرجال في الفخ عمداً .

هز رأسه نفياً ، وقال :

ـ خطأ يا رجل .. خطأ .. لقد وضع رجال (المافيا) الروسية مصيدتهم في البنك ، وهم يتصورون أن الفئران سيقعون فيها حتماً ، عندما تجذبهم رائحة الجبن ، أعني رائحة ثلاثين مليون دولار ، ولو أنهم نجحوا في الإيقاع بهم في المصيدة ، بهذه السهولة المعتادة ، فسيتعاملون معهم كفئران حقيقية ، تستحق إغراقها في أول مصرف مياه .

ثم انعقد حاجباه في حزم ، مستطرداً :

ـ أما لو أبرزت الفئران مخالبها ، ونشبت فيهم أنيابها ، ونجحت في الفرار من المصيدة ، ببراعة تنافس براعة الثعالب ، وقوة تفوق قوة الذئاب ، فستتغير نظرة زعيم (المافيا) إليها حتماً .

سأله الرجل في لهفة :

ـ ثم ؟!

ابتسم (أدهم) ، مجيباً :

ـ ثم ينتقل إلى النقطة التالية .

سأله أحد الرجال في شغف فضولي :

- وما هي النقطة التالية ؟!

صمت (أدهم) بضع لحظات ، قبل أن يجيب في هدوء :

- أن ينزع عن نفسه عقل الزعيم الإجرامي ، ويرتدي عقل رجل الأعمال .

تبادل الرجال نظرة أكثر حيرة ، قبل أن يتساءل واحد منهم :

- وما الذي يعنيه هذا بالضبط ؟!

اتسعت ابتسامة (أدهم) ، وامتلأت بقدر هائل من الغموض ، وهو يجيب :

- سترون .

ولم يضف حرفاً واحداً .

على الإطلاق .

* * *

انعقد حاجبا (إيفانوفيتش) الكثان في شدة ، وهو يستمع إلى سكرتيرته وحارسته الخاصة (ميرا) ، وهي

تراجع ما وصلها على شاشة الكمبيوتر ، قائلة بنفس البرود التقليدي :

- ثم نجحوا في الفرار ، بأسلوب غاية في الذكاء والبراعة ، تاركين الملايين الثلاثين كلها خلفهم .

قالتها ، وناولته نسخة من التقرير ، ليراجعه بنفسه ، فالتقطه منها ، وجرت عيناه على كلماته المطبوعة في سرعة ، قبل أن يتمتم :

- انفجار بإشارة لاسلكية ، وقنبلة دخان ، وبراعة في القتال والقيادة ..

من الواضح أننا لا نواجه خصوماً عاديين يا (ميرا) .

أجابته في هدوء بارد :

- بالتأكيد .

أعاد إليها التقرير ، وغرق لأكثر من دقيقتين كاملتين في تفكير عميق للغاية ، ثم ما لبث أن عاد إليها ، قائلاً في حزم صارم :

- كما أخبرتك من قبل يا (ميرا) .. هناك حتماً

ثغرة ما .. فجوة لم ينتبه إليها أحد ، تتيح لك اختراق أي نظام يوحي بالمناعة التامة .. هؤلاء الشبان الثلاثة أذكياء بالفعل ، ولديهم مهارات شتى تستحق الإعجاب ، ولكنهم مازالوا في ريعان الشباب ، وخبراتهم حتمًا محدودة ، وسيرتكبون خطأ ما ، أو يسقطون في زلة غير مقصودة ، ستكون هي سبيلنا إليهم .

غمغمت مجاملة :

ـ هذا أمر حتمي .

عاد إلى تفكيره العميق مرة أخرى ، وهو يقول في خفوت ، وكأنما يحدث نفسه :

ـ (جون كوك) .. (جون بروت) .. (جون) ..

لم تفهم (ميرا) مايعنيه ، من تكرار الأسماء على هذا النحو ، إلا أنها لم تحاول سؤاله أو مقاطعته ، كما اعتادت طوال عملها معه ، حتى التفت إليها ، والتمعت عيناه على نحو عجيب ، وهو يقول :

ـ هل تعلمين يا عزيزتي (ميرا) .. منذ زمن ما ، كنت أدرس ملف أحد رجال المخابرات ، الذين لم يستطع

الـ (كي . جي . بي) هزيمتهم أو السيطرة عليهم قط ، في محاولة للبحث في ملف هذا الرجل عن ثغرة ما في أسلوبه ، ثم التوصل إليه منها .. ولقد بدا لي لفترة طويلة .. أن ذلك الرجل منيع تمامًا ، ولا يوجد سبيل واحد لكشف أمره ، حتى انتبهت فجأة إلى تلك الثغرة .

تطلعت إليه بنظرة متسائلة ، فمال نحوها ، والتقت عيناه أكثر ، وهو يضيف بلهجة غريبة :

ـ الزهو ..

تضاعفت تساؤلاتها ، إلى نحو جعلها تقفز إلى شفتيها ، وهي تردد :

ـ الزهو ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يتراجع إلى مقعده بابتسامة كبيرة ، قائلاً :

ـ نعم يا عزيزتي (ميرا) .. الزهو .. فرجل المخابرات هذا ، كان يعشق ذاته ، ويزهو بنفسه إلى حد كبير ، وعلى الرغم من براعته الفائقة ، وقدراته التي لم أر لها مثيلاً قط ، وموهبته الفذة في التنكر ، على نحو يستحيل أن يكشفه شخص متدرب ، وقع في أنشوطة

عجيبة .. جعلته يختار لنفسه دومًا أسماء تنكرية ، تحمل الحروف الأولى من اسم .. ألف وصاد ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف في حزم :

ـ وكانت هذه أكبر ثغرة .. يمكن كشف أمره عبرها ، على الرغم من كل مهاراته .

سألته في حذر :

ـ وهل أوقعت به بسببها ؟!

لم تكد تنطق عبارتها ، حتى شعرت بالندم على ما قالته ، عندما انعقد حاجباه في غضب ، وتلاشى التماع عينيه ، وهو يقول في غلظة :

ـ لم يتمكن أحد من الإيقاع به قط .

ولكنه استعاد حيويته في سرعة ، وهو يتابع :

ـ ولكن ذلك الشاب يشبهه كثيرًا .. في حالة الزهو بالنفس بالتحديد ..

ففي كل مرة ، كان يختار لنفسه اسم (جون) ،

وصمت لحظة ، ثم أشار بسبابته ، قائلاً في صرامة :

ـ اخترقي إدارة الأحوال المدنية في (الأرجنتين) ، وابحثي عن شاب تحمل بالفعل اسمه (جون) ،

وتنطبق عليه صفات ذلك الشاب ، الذي صرف ملايينا العشرة من البنك في المرة الأولى ، وحاول صرف الملايين الثلاثين الأخرى ، في المرة الثانية .

بدت لها فكرته منطقية ، فأسرعت تجرى بأصابعها على أزرار الكمبيوتر ، وهو يتابعها في صمت ، حتى قالت :

ـ يبدو أنني قد عثرت عليه .

غمغم :

ـ حقًا .

وبضغطة زر إضافية ، ظهرت على الشاشة صورة (علاء) ، وهي تقول :

ـ (جون أبوللو) .. جندي في القوات الخاصة الأرجنتينية سابقًا .. تم فصله منذ ما يزيد قليلاً على العام ، بسبب سوء سلوكه ، واعتدائه على ضابط الفرقة .. والده يهودي معروف ، مات في أثناء سجنه في (بوينس أيريس) ، بتهمة النصب والاحتيال ، وله شقيق وشقيقة .

اعتدل (إيفانوفيتش) في مقعده، قائلاً في اهتمام:

- شقيق وشقيقة ..

أومأت برأسها إيجابًا، وقالت:

- نعم (جاك) و (جينا لوبالو) .. الأول كان يعمل كخبير كمبيوتر، في مؤسسة (أسيجو) للإلكترونيات، والثانية لا يعلم عنها أحد شيئاً، منذ تركت دراستها.

تألقت عيناه في شدة، وهو يغمغم:

- ضابط قوات خاصة سابق، وخبير كمبيوتر، وشقيقة مجهولة المهنة .. عظيم.

ثم التفت إليها، متابعًا في حزم:

- يبدو أننا قد ربحنا المباراة هذه المرة.

وارتسمت على شفتيه ابتسامة شيطانية، وهو يضيف:

- كالمعتاد.

وتألقت عيناه أكثر ..

* * *

٨ - الخطوة الحاسمة ..

« لقد كشفوا هويتنا .. »

رفع (شريف) أصابعه عن أزرار الكمبيوتر، وهو ينطق العبارة في توتر، فاعتدل (علاء) في مجلسه، قائلاً:

- عظيم.

ثم أشار إلى (ريهام)، مستطردًا في حزم:

- هيا .. لابد أن نستعد لإخلاء هذا المنزل بأقصى سرعة، فمن المؤكد أنهم سيصلون إلى هنا، خلال دقائق معدودة.

تحركت في سرعة، لتجمع أدواتها، وهي تغمغم:

- يا للخسارة! بعد أن قضيت الوقت كله، في تفخيخ كل مداخله ومخارجه.

هتف بها (شريف) مستنكرًا:

- هل تشعرين بالأسى ، لأن قواتك لم تسبب انفجارًا أو انفجارين ؟!

ابتسمت في سخرية ، قائلة :

- ألا يحزنك هذا أيضًا ؟!

انعقد حاجباه ، وهو يهز رأسه في قوة ، مضيفًا :

- قلت لكما : إنني لن أعتاد هذا العالم قط .

ناوله (علاء) كبسولة صغيرة ، وهو يقول :

- أراهنك أنك ستعتاده بأسرع مما تتصور .

حدق (شريف) في الكبسولة ، متسائلاً :

- ما هذا بالضبط ؟!

أجابه (علاء) :

- ابتلعها فحسب .

قال (شريف) في عناد :

- ليس قبل أن أعرف ما هي بالضبط ؟!

أجابه في حزم :

- مجرد عقار ، سيساعدك كثيرًا ، في المرحلة القادمة .

رفع (شريف) الكبسولة إلى شفتيه ، وهو يتساءل في حذر قلق :

- أي نوع من المخدرات ؟!

هتف به (علاء) في دهشة :

- كلا بالطبع .. الأحمق وحده من يتصور أن المخدرات يمكن أن تفيد ، بأي حال من الأحوال .

تنهد (شريف) في ارتياح ، وغمغم ، وهو يلقي الكبسولة في حلقه :

- عظيم .

تراقصت ابتسامة عابثة على شفتي (ريهام) ، وهي تقول :

- الواقع أنها نوع من السموم البطيئة .

اتسعت عيناه في ذعر ، وهو يقفز من مقعده ، صارخًا :

- سموم ؟!

انفجرت ضاحكة في مرح ، فانعقد حاجباه في غضب ، وهو يهتف :

- لست أعتقد أن الموقف يحتمل هذه الدعابات السمجة ، و ...

قاطعه (علاء) فجأة ، بصرامة غاضبة ، وباللغة الإسبانية :

- خطأ .. إياك أن تتحدث بالعربية هنا ، ولو بحرف واحد .. هذا كفيل بإفساد الخطة كلها ..

امتقع وجه (شريف) ، وهو يغمغم بالإسبانية :

- معذرة .. لقد استفزتني دعابتها ، و ...

قاطعه (علاء) مرة أخرى :

- لا توجد اعتذارات هنا .. مهما بلغ توترك وانفعالك ، ينبغي أن تتحدث بالإسبانية فقط .. لا تنس قط أننا الأخوة (أبولو) ، وأننا ننتمي إلا لوطننا في (الأرجنتين) ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، قاطعه بغتة أزيز متصل ، انطلق من جهاز صغير فوق التلفاز ، فهتفت (ريهام) ، وهي تستل مسدسها من حزامها :

- بعضهم تجاوز أسوار الحديقة .

وثب (شريف) في سرعة نحو جهاز التحكُّم عن بعد (ريموت كنترول) ، وضغط أزراره ، وهو يضيف :

- من الناحية الشرقية .

مع ضغطته ، أضيئت الشاشة ، وظهر فوقها ثلاثة رجال ، يتسلَّلون في الظلام ، عبر حديقة المنزل الشرقية ، في نفس اللحظة التي ارتفع فيها أزيز آخر ، فهتف (علاء) ، وهو يحمل سلاحه بدوره :

- ومن الناحية الجنوبية أيضًا .

ضغط (شريف) زر جهاز التحكُّم مرة أخرى ، ورأى رجلين آخرين ، يحملان بندقيتين كبيرتين في الحديقة الجنوبية ، فتمتم في عصبية :

- لقد بدأ الهجوم .

قفزت (ريهام) نحو الجدار ، وهي تقول :

- فلنستقبل الضيوف إذن ببعض الألعاب النارية .

وبضغطة زر ، دوى انفجار في حديقة المنزل الشرقية ..

وآخر في الحديقة الجنوبية ..

وعلى الشاشة ، رأى (شريف) أحد الرجال يطير بعيدًا ، في حين يندفع الباقون نحو المنزل ، وهم يطلقون النار بلا هوادة ..

وألقى (شريف) نفسه خلف أريكة كبيرة ، وهو يهتف ، حاميًا رأسه بذراعيه :

ـ لتعشم أن تكون خطة السيد (أدهم) صحيحة .. لتعشم هذا .

كان الطرفان يتبادلان النيران بكثافة مدهشة ، و (علاء) و (ريهام) ينتقلان من مكان إلى آخر ؛ لصد الهجوم المكثف على المنزل ، بعد أن انضمَّ إلى رجال (المافيا) الروسية خمسة رجال آخرون ، هاجموا المنزل في مجموعتين ، من الغرب والشمال ، بحيث صار محاصرًا بالكامل ، والنيران تنهال عليه من كل صوب ..

وفي الخارج ، هتف الروسي النحيل :

ـ أحياء .. الزعيم طلب الإيقاع بهم أحياء .

هتف أحد الرجال ، معترضًا ومستنكرًا :



وألقى (شريف) نفسه خلف أريكة كبيرة ، وهو يهتف ، حاميًا رأسه بذراعيه :
ـ لتعشم أن تكون خطة السيّد (أدهم) صحيحة ..

- أحياء ؟! إنهم يقاتلون كالوحوش .

عضّ النحيل شفتيه في غضب محنق ، وهو يقول :

- لو أن الأمر بيدي ، لسحقتهم سحقًا بلا رحمة ، ولكن هل يمكنك أن تواجه الزعيم ، بعد أن تخالف أوامره ؟!

همهم الرجل ببضع كلمات ساخطة ، وهو يواصل إطلاق النيران ، في حين اتجه الضخم نحو النحيل ، هاتفًا :

- هل سنواصل تبادل النيران إلى الأبد ؟!

هزّ النحيل رأسه في حزم ، قائلاً :

- بل سنستعير أسلوبهم ، ونجبرهم على مغادرة عرينهم .

ثم صاح في الباقين :

- استخدموا قنابلكم .

التقطت أذنا (شريف) الصيحة ، وسط الرصاصات والنيران ، فاتسعت عيناه في ارتياع شديد ، وهو يهتف :

- قنابلهم .. رباه ! هذا يخالف الخطة تمامًا .

صاح به (علاء) و (ريهام) في آن واحد :

- اصمت .

ومع صيحتهما ، تحطمت النوافذ ، وقفزت ثلاث قنابل عبرها ، لتتدحرج على أرضية الحجرة ..

واتسعت عينا (شريف) عن آخرهما ..

ودوت الانفجارات ..

ثلاث انفجارات متعاقبة مكتومة ، انطلقت معها سحب هائلة من الدخان في المكان ، وهتفت (ريهام) ، وهي تسعل بشدة :

- كنت أعلم هذا .. كنت أعلم هذا .

سعل (شريف) بدوره ، وهو يهتف في ذعر :

- ماذا سنفعل ؟! ماذا سنفعل ؟!

أجابه (علاء) ، وهو يحاول إخفاء وجهه وأنفه بكفه :

- ليس أمامنا ، مع الحصار والدخان ، سوى حل واحد .

ثم ارتفع صوته ، وهو يصرخ بالإسبانية :

- أننا نستسلم .

تألقت عينا النحل في ظفر ، عندما بلغت الصرخة مسامعه ، وأشار إلى رجاله بإيقاف إطلاق النار ، وهو يهتف في صرامة :

- ألقوا أسلحتكم ، وغادروا المنزل ، رافعين أيديكم فوق رءوسكم .

سعل (شريف) مرة أخرى في عنف ، وهو يقول :

- هل سنستسلم حقًّا ؟!

سألته (ريهام) ، ووجهها محتقن من شدة السعال :

- ألديك حل آخر .

هتف في عصبية :

- ولكنهم سيقتلوننا .

أجابه (علاء) وهو يتجه نحو باب المنزل ، ويسعل بدوره في عنف ، وقد التهبت عيناه بالدخان الكثيف :

- لو أرادوا لما استخدموا قنابل الدخان .

غمغم (شريف) ، وهو يتحسس طريقه إلى الباب :

- إذن فالخطة مازالت تسير على ما يرام ..

هتف (علاء) بصوت مرتفع :

- لاتطلقوا النار .. نحن في طريقنا إلى الخارج .

وتمتم (شريف) في سخط ، وهو يتبعه :

- أين الشرطة في هذا البلد .. كل هذا القتال ، دون أن يظهر جندي واحد منهم !

قالت (ريهام) ، وهي تسير في المؤخرة :

- ألاتعرف أين الشرطة هنا ؟؟ في جيب (إيفانوفيتش) طبعًا .

كان ثلاثتهم يتحسسون طريقهم إلى الباب ، بعد أن التهبت عيونهم وصدورهم ، مع الدخان الكثيف في المكان ، ولكن هذا لم يمنعهم من استبصار ذلك الضوء القوي ، الموجه إليهم ، مع صوت النحل ، وهو يقول في صرامة :

- أيديكم فوق رءوسكم .. هيا .

وعلى الرغم من الضوء ، ومن التهاب عينيه المؤلم ، حاول (شريف) أن يلقي نظرة على الموقف في حديقة المنزل ، وهو مازال يتساءل : أين الشرطة في هذا البلد ، و ...

وسرت في جسده قشعريرة باردة ..

فمن بين جفنين نصف مغلقين ، رأى النحيل يقف إلى جوار زميله الضخم ، وعلى بعد متر واحد منهم ، يقف ثلاثة رجال ، يصوبون إليه وإلى رفيقيه بنادق قوية كبيرة ، والنحيل يرفع يده ، وعيناه تتألقان بنظرة وحشية شريرة ، تتنافى مع ابتسامته العجيبة ، الشبيهة بابتسامة ذئب مفترس ، ظفر على التو بفريسة طازجة جديدة ..

ولم ترق يد النحيل المرفوعة لـ (شريف) ..

لم ترق له أبدًا ..

فقد بدا له ، وهو يقف على مسافة متر واحد من حاملي البنادق ، أشبه برئيس كتيبة إعدام ، تستعد لتنفيذ حكم صارم ..

ثم فجأة ، تحولت قشعريرته إلى انتفاضة عنيفة ، عندما خفض النحيل يده في حزم ، وهو يهتف :

- الآن .

وقبل أن تنفرج شفتا (شريف) ، لتنطلق من بينهما صرخة ارتياع ، ضغط الرجال الثلاثة أزندة بنادقهم ..

وانطلقت البنادق ..

وأصابت أهدافها الثلاثة ..

بمنتهى الدقة ..

* * *

لم يكد ضابط غرفة العمليات يلمس كتف (أدهم) ، الغارق في نوم عميق ، حتى وثب هذا الأخير جالسًا ، على طرف الأريكة ، وهو يتساءل :

- هل وصلت تقارير جديدة ؟!

أجابه الرجل في توتر :

- نعم يا سيادة العميد .. تقرير عاجل ، من المسئول عن مراقبة الفريق في (مندوسا) .

هزّ (أدهم) رأسه ، لينفض عن نفسه كل ما يشعر به من تعب وإرهاق ، وهو ينهض من مجلسه ، ويتجه نحو غرفة العمليات ، قائلًا :

ـ وماذا يقول هذا التقرير العاجل ؟!

كان يبدو أكثر شحوباً من الصباح ، وهو يراجع التقرير بنفسه ، دون انتظار الجواب ، ولكن الرجل أجاب :

ـ رجال (المافيا) الروسية هاجموا الفريق ، وتبادلوا معه إطلاق النار في عنف ، ثم ألقوا قنابل دخان داخل المنزل ، مما اضطر رجالنا إلى الاستسلام ، وما إن غادروا المنزل ، حتى أطلق عليهم رجال (المافيا) الروسية النار .

انعقد حاجبا (أدهم) في شدة ، وهو يقول :

ـ مستحيل !

وراح يراجع التقرير للمرة الثانية ، قبل أن يتراجع في مقعده ، ويغرق في تفكير عميق بضع لحظات ، ثم يعتدل مرة أخرى ، قائلاً في حزم :

ـ كيف غادر رجال (المافيا) الروسية المكان ؟!

سأله الرجل في حيرة :

ـ أتعني هل حملوا الفريق معهم ، أم تركوه هناك ؟!

وأشار بيده ، مستطرداً بلهجة آمرة :

ـ سل رجالنا في (مندوسا) عن هذا ، ولغيره أيضاً أريد الجواب فوراً .. أجر اتصالك به ، عبر هاتف الأقمار الصناعية .. هيا .

أجرى الرجل الاتصال في سرعة ، في حين عاد (أدهم) يتراجع في مقعده ، ويستغرق في التفكير مرة أخرى ، وهو يداعب ذقنه ، قبل أن يكرّر :

ـ مستحيل !

مع آخر حروف كلماته ، عاد إليه الضابط ، قائلاً :

ـ لقد حملوهم معهم ، ورجالنا يتبعهم الآن إلى مطار خاص ، ويقول : إن هناك طائرة تنتظرهم ، وهم ينقلون إليها رجالنا ويبدو أنها تستعد للإقلاع إلى (موسكو) .

أومأ (أدهم) برأسه ، واستعاد ابتسامته ، وهو يقول :

ـ عظيم .

سأله أحد الضباط في اهتمام وحيرة :

ـ قل لي يا سيادة العميد .. هل يسعدك ما حدث ؟!

أجابه (أدهم) بابتسامة كبيرة ؟!

- بالتأكيد .

ثم اعتدل ، متابعاً :

- لقد أدهشني في البداية أن يستخدم رجال (المافيا) الروسية قنابل الدخان ، بدلاً من القنابل اليدوية ، ثم يطلقوا النار بعدها على فريقنا ، عندما يغادر المنزل مستسلماً ، ووجدت نفسي أتساءل : ترى هل كانوا يرغبون في التيقن من هويتهم أولاً ، قبل أن يطلقوا عليهم النار أم ماذا ؟!

وصمت لحظة ، ثم أكمل :

- والشيء الوحيد ، الذي كان يمكن أن يحسم الأمر ، هو موقفهم بعد إطلاق النار ، فلو أنهم قتلوهم بالفعل ، فلماذا يتجشمون مشقة حملهم ، ونقلهم إلى طائرة خاصة ، تحملهم إلى (موسكو) ؟! ففي كل الأحوال ، ليس من المنطقي أن يصر (إيفانوفيتش) على رؤية الجثث بنفسه ، خاصة وأنه رجل اعتاد أن يريق الدماء أنهاراً ، في كل عملية يقوم بها .

سأله رجل آخر :

- ما الذي يعنيه إطلاق النار عليهم إذن ؟!

هز رأسه نفياً ، وهو يجيب :

- لم تكن رصاصات قاتلة ، وإنما أسهماً مخدرة على الأرجح ، كل مهمتها أن تفقدهم وعيهم ومقاومتهم ، حتى يتم نقلهم بأمان إلى (موسكو) ، وإلى قصر (إيفانوفيتش) بالتحديد .

تبادل الرجال نظرة صامتة ، قبل أن يقول أحدهم :

- أمن المفترض أن يسعدنا هذا ؟!

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- بالطبع .. فهذا الموقف يعني أن (إيفانوفيتش) قد فعل ما دفعناه إليه بالضبط .. لقد تخلى عن عقلية رجل العصابات ، واستعاد عقلية رجل الأعمال .. العقلية التي تدفعه للاستفادة من كل ما يقع تحت يديه ، لتنمية استثماراته أو مضاعفة ثروته الهائلة ، وإضافة مليارات الدولارات إليها ، بأية وسيلة ممكنة .

سأله أحد الضباط ، في اهتمام شديد :

- هل يمكنك أن توضح لنا الأمر أكثر ياسيادة العميد ؟!

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال :

- بالطبع .

ثم أشار بسبابته ، وهو يسألهم :

- لو أنكم في موضع (إيفانوفيتش) ، وأمكنكم الإيقاع بفريق صغير ، نجح في اختراق أقوى شبكة بنكية منيعة ، في العالم كله ، وسرق منكم أربعين مليون دولار ، فماذا ستفعلون به ؟!

أجاب أحدهم في سرعة :

- لنسحقه سحقًا .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

- هذا ما يمكن أن تقود إليه عقلية رجل العصابات ، أما عقلية رجل الأعمال ، فستتخذ حتمًا قرارًا يختلف تمامًا .

ومال إلى الأمام وهو يضيف :

- ستحاول الاستفادة من إمكانيات ذلك الفريق

الصغير ، إلى أقصى حد ممكن ، فبوساطته ، يمكنه أن يقتحم جهاز الحماية الدفاعي لكل بنوك العالم ، ليضيف إلى أرصدته مليارات وملیارات أخرى .

تبادل الرجال نظرة صامتة ، قبل أن يتساءل أحدهم في قلق :

- وهل سيفعل هذا حقًا ؟!

صمت (أدهم) لحظة ، قبل أن يجيب :

- لو أنني أحسنت تقديره ، وأمكنني تقدير طبيعته وأسلوبه ، فسيفعل ما دفعناه إليه ، دون أن يدرك هذا .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وعاد يتطلع إلى شاشة المراقبة ، متابعًا :

- ولأننا سنفقد كل وسيلة للاتصال ، منذ هذه اللحظة ، وحتى يتجاوز الفريق هذه المرحلة الدقيقة ، فلن يكون أمامنا سوى الانتظار ، والترقب ، ونحن نطرح على أنفسنا هذا السؤال طوال الوقت : هل سيتعامل (إيفانوفيتش) مع رجالنا بعقلية رجل الأعمال ، أم رجل العصابات ؟!

تطلقها ، فهوى على رءوسهم صمت رهيب ثقيل ..

صمت رجال يدركون تماماً أن الساعات القادمة ، هى أكثر مراحل العملية دقة وخطورة وعنفاً ..

مرحلة سيفقدون خلالها كل اتصال ممكن ، مع فريق (أدهم) الصغير ..

وكل وسيلة لمعرفة ما يدور خلف أسوار ضيعة الأب الروحى ، لمنظمة (المافيا) الروسية ، بعد نقل الأبطال الثلاثة إليها ..

وأنه لن يكون أمامهم بالفعل سوى سؤال واحد ..

هل يمكن أن يربحوا تلك الجولة الغامضة المخيفة ؟!

هل ؟!

* * *

لم تعان (ريهام) فى حياتها كلها من صداع ، أشد عنفاً من ذلك الذى شعرت به ، فى تلك اللحظات ، وهى تستعيد وعيها فى بطء ..

كل شىء كان يدور بها فى عنف ، ويزلزل كيانها حتى النخاع ..

ومن ركن ما فى مخها ، بدأت مشاعرها تنطلق ، وتسرى فى جسدها ، لتعاودها الشعور بما حولها ..

إنها ترقد على أرضية من الرخام البارد ، داخل مكان مكيف الهواء ، وهناك أقدام ثقيلة ، تتحرك بالقرب منها ، ويداها مقيدتان خلف ظهرها ، بأغلال من الصلب ، تؤلم رسغيها بشدة ..

وتحرك لسانها يتساءل عما أصابها ..

ولكن فجأة ، انطلق من أعمق أعماقها تحذير عجيب ..

الإسبانية ..

تحدثى فقط بالإسبانية ..

وعلى الرغم من أنها لم تكن استعادت كامل وعيها ، فقد غمغمت بالإسبانية :

ــ أين أنا ؟!

أتاها صوت هادئ للغاية ، يقول بإسبانية سليمة تماماً :

- أنت فى ضيافتى يا (جينا أبوالسو) .. لقد سبقك شقيقاك فى استعادة وعيهما.

فتحت عينيها فى بطء وحرص، وتطلعت إلى فوهات المدافع الآلية، المصوبة إليها فى تحفز، وإلى (علاء) و (شريف)، اللذين يجلسان على مقعدين من المعدن، على مقربة منها، وقد اتجهت فوهات مدافع آلية أخرى نحوهما، فى حين جلس (إيفانوفيتش) بنفسه، والذى تحفظ ملامحه الشيطانية عن ظهر قلب، وهو يتطلع إليها بابتسامة صفراء، متابعًا:

- أخيرًا استيقظت .. مرحبًا بك فى قصرى المتواضع.

حاولت أن تعتدل فى صعوبة، مع قيودها الضيقة، وهى تقول فى توتر:

- ومن أنت بالضبط؟!

أشار إلى رجاله، فعاونوها على النهوض، وأجلسوها على مقعد معدنى آخر، إلى جوار زميليها، و (إيفانوفيتش) يقول بنفس الهدوء:

- عجبًا! كيف تجهلين الرجل، الذى سلبوه أربعين مليونًا من الدولارات..

غمغم (شريف) فى توتر:

- إنه السيد (جون جريشام) بنفسه..

ارتسمت الدهشة على وجهها، وهى تهتف:

- (جون جريشام)؟!

لوّح (إيفانوفيتش) بيده بحركة مسرحية، قائلاً:

- بشحمه ولحمه يا سيدتى أو آنستى، حسبما يتفق..

هزّ (علاء) رأسه، وقال بلهجة متماسكة:

- إننا لم نكن نقصدك شخصيًا يا سيد (جريشام)، عندما قمنا بتنفيذ عمليتنا هذه.. كل ما فى الأمر هو أننا قد اخترنا حسابًا ضخمًا، تجرى فيه عمليات سحب وإيداع مستمرة، لمبالغ كبيرة، وتصوّرنا أن أحدًا لن ينتبه إلى ما فعلناه، قبل أن يحين موعد المراجعة الشهرية أو نصف السنوية، أو ...

قاطعه (شريف)، وهو يقول فى عصبية، دون أن يتخلى عن لكنته الإسبانية:

- قلت لكما إنه من الخطأ أن نسحب مبالغ كبيرة من حساب واحد .. كان ينبغى أن تستمعا إلىّ، وأن

تسحب بضعة دولارات من كل حساب ، ولم يكن أحد ليتنبه أو يبالي عندئذ .

رفع (إيفانوفيتش) أحد حاجبيه ، وهو يقول :

- فكرة أكثر عبقرية ، كان يجب أن تستمعا إليه .

ثم مال نحوهم ، وأضاف في شراسة :

- ولكن المشكلة أننا كنا سنكتشف أمركم ، حتى ولو استوليتم من حساباتنا على سنت واحد .

هز (شريف) رأسه ، وهو يقول في تردد :

- لست أعتقد هذا .

أدار (إيفانوفيتش) عينيه إليه بحركة حادة ، فارتبك متابعًا :

- أعني أنني كنت سأتخذ عندئذ كل الاحتياطات اللازمة ، لإضافة المبالغ الصغيرة إلى حسابنا ، وخصمها من كل الحسابات الأخرى ، مع تعديل بيانات الكمبيوتر العامة ، و ... احم .. أعني أنه من الممكن ألا ينتبه أحد إلى ..

قاطعه (إيفانوفيتش) في غضب صارم :

- قلت : مستحيل !

ارتسم غضب مخيف على وجهه لدقيقة كاملة ، قبل أن يسألهم :

- هل تعرفون من أنا بالضبط ؟!

تبادل الثلاثة نظرة حائرة متقلقة ، وكأنهم يجهلون هويته بالفعل ، قبل أن تجيب (ريهام) في تردد مدروس :

- ماذا تقصد بالضبط يا سيد (جريشام) ؟! نحن نعرف بالطبع من أنت .

سألها مباشرة :

- من أنا إذن ؟!

أجابته بنفس الحيرة والتوتر :

- السيد (جون جريشام) ، صاحب أسطول ناقلات البترول الـ ...

قاطعها في صرامة مخيفة :

- خطأ .

رسم (شريف) الدهشة على وجهه، وهو يردد:

- خطأ؟! هذا مستحيل! لقد راجعت بنفسي كل بيانات الكمبيوتر، و...

قاطعه بصرامة أكثر:

- قلت خطأ.

عاد الثلاثة يتبادلون نفس النظرة الحائرة المتفقة، قبل أن يسأله (علاء):

- من أنت إذن يا سيد (جريشام)؟!

انعقد حاجباه في شدة، وهو يميل نحوهم أكثر، قائلاً:

- الشخص الجالس أمامكم الآن، والذي تعرفونه باسم (جون جريشام)، هو (إيفان إيفانوفيتش).. هل يبدو لكم الاسم مألوفاً؟!

تبادل (علاء) و(ريهام) نظرة حائرة، وكلاهما يجهلان الاسم، في حين هتف (شريف) في ارتياع:

- يا إلهي!

سألته (ريهام)، وهي تجيد لعب دورها:

- هل تعرفه؟!

حدق في وجه (إيفانوفيتش)، وهو يجيبها:

- بالتأكيد.. السيد (إيفان إيفانوفيتش) رجل مخابرات سابق، في الـ (كي. جي. بي)، كان مسئولاً عن عشرات المذابح، في أماكن شتى من العالم.. آخرها في (البوسنة)، قبل أن يترك العمل، مع سقوط الاتحاد السوفيتي، ويبدأ في تنظيم (المافيا) الروسية.

صرخت (ريهام) في رعب مفتعل:

- (المافيا) الروسية:

تراجع (إيفانوفيتش) في ظفر، وعيناه تبرقان أكثر وأكثر، وقد راقت له صرختها المذعورة، ونظرة الرعب والهلع، التي رسمها (علاء) على وجهه، وهو يهتف:

- لا يا سيد (إيفانوفيتش).. أرجوك.. اغفر لنا ما فعلناه.. أقسم إننا ما كنا نتقدم على هذا، لو أننا نعرف هويتك الحقيقية...

وهتف (شريف) بصوت مرتجف:

ـ إننا مستعدون لتعويضك بأى مبلغ تطلبه .. إننى أستطيع اختراق أى نظام بنكى ، مهما بلغ إحكامه ، وتحويل أى مبلغ لحسابك ، و ...

قاطعه (إيفانوفيتش) بإشارة صارمة من يده ، وتطلّع إلى ثلاثتهم بضع لحظات فى صمت وتفكير ، قبل أن يسألهم :

ـ من أين اكتسبتم مهاراتكم هذه ؟!

أجابه (شريف) فى سرعة :

ـ لقد كنت أعمل كخبير كمبيوتر ، فى مؤسسة (أيجو) للإليكترونيات ، فى (نيويورك) ، ثم تم فصلى منها ، عندما سرقت شريحة ميكروسكوبية إليكترونية حديثة ، وحاولت بيعها لشركة منافسة .

وقال (علاء) :

ـ وأنا كنت ضابطًا سابقًا فى القوات الخاصة .

مطّ (إيفانوفيتش) شفتيه ، وهو يدير عينيه إلى (ريهام) ، قائلاً :

ـ وماذا عنك ؟!

هزّت كتفيها ، مجيبة :

ـ لست أمتلك أية مهارات .. إنهما شقيقاى ، ومن واجبهما أن يرعيانى ، وينفقا علىّ .

قال فى صرامة :

ـ لست تمتلكين أية مهارات ! أى قول سخيف هذا ، بعد أن أسقطت وحدك اثنين من أفضل رجالنا ، فى شوارع (مونتفيديو) ، وقدت السيارة كالشياطين هناك .

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ أتسمى هذه مهارات ؟! إنها أمور تافهة ، تعلمتها مع الرفاق فى النادى ، ودرّبنى عليها (جون) منذ حداثتى .

انعقد حاجباه أكثر ، وهو يتطلّع إليهم فى صمت ، فقفز (شريف) عرضه ، قائلاً بصوت مرتجف :

ـ اغفر لنا يا سيّد (إيفانوفيتش) ، وسنرد لك كل ما سلبناه .. بل ويمكننى أن أعوّضك بملايين أخرى ، و ...

قاطعه (إيفانوفيتش) بإشارة صارمة من يده ، وتراجع فى مقعده ، وراح يداعب لحيته بأصابعه ، وهو

يتطلع إليهم ، وقد غرق في تفكير عميق ، فرافقته (ميرا) بصمتها البارد ، دون أن تعلق بحرف واحد ، وأدركت من ملامحه أنه يدير الأمر كله في رأسه ، بمنتهى العمق والتركيز ..

ولقد استغرق تفكيره هذا وقتاً طويلاً هذه المرة ..

استغرق ما يقرب من خمس دقائق كاملة ..

وكان من الواضح أنه يراجع الموقف كله منذ البداية ..

وبكل التفاصيل ..

يراجعه بعقلية رجل مخابرات سابق محنك ، له خبرات طويلة قوية ..

وبعقلية ذئب مفترس ، يرأس أقوى منظمة إجرامية ، في العالم أجمع ، في السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين ..

وأخيراً تكلم ..

في هدوء عجيب ، واجه أفراد الفريق الثلاثة ، قائلاً :

- الواقع أنه عرض مغر للغاية ، فمع موهوبين مثلكم ، يمكنني أن أخترق شبكة الكمبيوتر لأي نظام بنكي ، مهما بلغ إحكامها ، وتحويل ملايين .. بل مليارات الدولارات ، إلى عشرات الحسابات الأخرى ، في كل مكان في العالم ، بحيث أصبح خلال عام واحد ، أغنى رجل في العالم .. بل في التاريخ كله .

قال (شريف) ، وهو يلهث انفعالاً :

- بالتأكيد يا سيد (إيفانوفيتش) .. بالتأكيد .

ارتسمت ابتسامة مخيفة على شفتي (إيفانوفيتش) ، وهو يومئ برأسه ، قبل أن يقول فجأة في شراسة :

- ولكن تبقى نقطة أكثر أهمية .

شعرت (ريهام) بالقلق ، من أسلوبه ونبراته ، وهو يتابع في صرامة وحشية :

- كيف ستضمن سمعة (المافيا) الروسية ، إذا

ما علم البعض أن أحدهم قد سخر منها ، واستولى على أموالها ، ثم بقى بعدها على قيد الحياة ، لينعم بكل ما سلبه .

هتف (شريف) فى ارتياع :

ـ ولكننا أقسمنا أن ..

قاطعه (إيفانوفيتش) بصرخة هادرة :

ـ كلاّ .

ثم تراجع فى مقعده ، وقد انعقد حاجباه الكثيفين ، واشتعلت النيران فى عينيه الغاضبتين ، وهو يتابع بكل صرامة الدنيا :

ـ لكى تبقى على القمة ، لابد أن تضع سمعتك على قمة أولوياتك .

وأشار بيده إلى رجاله ، قائلاً بلهجة آمرة صارمة :

ـ اقتلوهم .

اتسعت عينا (شريف) عن آخرهما ، وانعقد حاجبا (علاء) فى شدة ، فى حين هتفت (ريهام) ، عندما ارتفعت نحوهم فوهات المدافع الآلية :

ـ انتظر .

ولكن الرجال ضغطوا أزندة مدافعهم الآلية ..

ودوت الرصاصات ..

بمنتهى العنف .

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى بإذن الله

(فريق المستحيل)

